الفوز بالجحيم

روايةَ

د/ سارة الأنصاري

المؤلف: دكتوره/ سارة عبدعلي جواد

الناشر: دار نهر الكتب للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف والإخراج الفني: القسم الفني بدار نهر الكتب (لوجوتيلز)

المراجعة اللغوية: هند علي

رقم الإيداع: ٧٠٩٥ /٢٠٢٠م

الترقيم الدولي: ٥- ١٤-٦٧١٧-٩٧٧-٩٧٨

المدير العـــام: هالة رجـب

رئيس مجلس الإدارة: محمد محمد هيكل

جميع الحقوق محفوظة لدار نهر الكتب للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان.

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة الدار يعرض صاحبها للمساءلة القانونية، والآراء والمادة العلمية الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

جمهورية مصر العربية

موبايل:٠٠٢٠١٠٦٩٦٤٨٠٠٨ ــ ٠٠٢٠١٠٢٢٤٤٣٤٧٢

البريد الإلكتروني: nhrelkotob@gmail.com

إهـــداء

إلى سكان العالم السفلي وزعمائهم...

أهديكم روايتي هذه، وأنا متأكدة أنكم كنتم تسترقون النظر إليها عندما كنت أكتبها، وتتوقون لمعرفة من الذي سيفوز بالجحيم...

ولكن يؤسفني أن أخبركم أنكم و بعد انتشار هذا الكتاب لن يظل لكم أي سلطان أوجبروت، ولن يهابكم الإنس بعد الآن؛ لأنهم سيعرفون من الأولى بالخوف والحذر منه، وأؤكد لكم أن الصراع بيننا لم ولن ينتهي فلا غلبة أبدية للشر.

****

" ملكة العالم السفلي "

في غياهب ذلك المكان المظلم الذي دأبت أن تفوح منه رائحة الرطوبة ممزوجة بالعنف والإجرام وربما بعض من براءة .

كان يقبع السجين "علاء " الملقب ب(الأحمر) وهذا اللقب طبعا لم يأتي من فراغ، فكان أكثر ما يميزه هو شدة بياض وجهه، تتناثر فيه بقع بلون أحمر قان بارزة الطرف كأنه كان يشرب من دم ضحاياه؛ ليغدو بذلك الشكل واللون الغريب .

و ما أربى الأمر فظاعة هى آثار الندوب والخدوش التي حفرت وجهه حتى منحت وجهه القبيح ذلك اللون الأحمر تمييزًا لإجرامه وعنفه، حتى شعره الجثل كأنه لم ينجو من اجرامه؛ فأصبح شقارا اختلطت به حمرة شديدة استمدت من دماء ضحاياه؛ ليغدو بلون برتقالي فاقع ليفشي ذلك اللون المستفز.

طول قامته يتجاوز الستة اقدام، فهو ضخم البنية مفتول العضلات حتى ملابس السجن كانت تبدو ضيقة عليه و تصارعه كي تبقى على جسده الذي سيتعفن وهو قابع بسجنه الأبدي، فقد ارتأت المحكمة أن تبقيه مسجونًا مدى الحياة؛ كي لا يرتاح بقبض روحة لمرة واحدة

وهذا كان بعد طلبات و توسلات قدمت للمحكمة من ذوي الضحايا الذين كانوا الأسوأ حظًا، عندما وقعوا بيد مجرم معتوه مثل علاء الأحمر، فأرادوا أن يتجرع شيئًا بسيطًا مما كان يفعله هذا المختل بضحاياه حين يستلذ بتعذيبهم و ولغ بدمائهم بعد أن يمزق أوصالهم والتمثيل بهم وهم أحياء، حتى كانوا يستصرخون الموت للخلاص من هذا الشيطان البشري .

وُضع علاء الاحمر في زنزانة منفردة بقرار من المحكمة التي أشارت بسجنه مؤبدًا، و ألزم امري السجن بكتابة القرار و لصقه على باب زنزانته والتي شبهها بعضهم ببوابة الموت التي تغلق على البشر عند ولوج هذا الوحش اليهم؛ للتنبيه والتحذير من الإقتراب منها ، كحيوان مفترس عزل؛ لوحشية و عته أصابه .

والأمر بعدم اخراجه من مكانه الا للضرورة القصوى، وذلك بعد أن قام بقتل احد السجناء حينما انقض عليه و عض فمه واطبق اسنانه التي كانت تشبه المناشير على فيه، و جثى بثقله على صدره حتى انقطع نفسه وفارق الحياة مثلما يقوم الاسد بلقم فم ضحيته إن لم يستطع تحطيم عنقها حتى تنفق.

هذا هو علاء الأحمر الذي لم ينتهي إجرامه ولن ينتهي مادام الشر قابعًا في ذاته البشرية أو اللابشرية .

همد نائما ذات ليلة ظلماء ساكنة كسكون الرحمة في قلب ذلك المجرم يسمع فيها وقع الإبرة؛ فنام نومًا عميقًا كالحتفة الصغرى؛ فصار يتقلب بجسده كأنه كان يرى كابوسًا مرعبًا في منامه، فراح يشمر بيديه محاولًا إبعاد أحدهم عن عنقه؛ فبات كالمقيد اليدين بأغلال حديدية ضخمة، كان يرى وهو مطبق عينيه امرأة بشعة الوجه والجسد، بعينين جاحظتين، وأنف طويل مدبب، وفم تفوح منه رائحة الكره والبغضاء تحمل عصا طويلة مشوكة بأشواك حادة .

تضرب علاء وهو يصرخ في كابوسه، ولكن صوته لم يكن يتعدى حنجرته المخنوقة ، كان يتوسلها أن تتركه بحاله فقد كانت ضرباتها موجعة جدًا لم تكن كضرب العصا العادية بل كأنها مصنوعة من سياط النار والسحر الاسود !

فلم تعتقه حتى تركته كالجثة الهامدة، ثم اقتربت عليه وقبضت على رأسه بكفها المخيف تبرز العروق من الجلد المهترئ ثم أنبتت أظافرها في راسه؛ لتقلع جزءًا من شعره .. واختفت .

لم يستيقظ علاء من كابوسه إلا صباحًا حينما نادى عليه الشرطي من الفوهة الصغيرة والمشبكة بسلك معدني ثقيل و التي تعلو باب زنزانته؛ لكي يأخذ وجبة طعامه بعد أن وضعها له تحت الباب.

جلس علاء وهو منهك لا يقوى على الوقوف، شعر كمن قبضت روحه وردت إليه مرورًا بكل تلك العذابات التي تتخلل الموت؛ فطرق على باله ما قد رأى أو حلم به البارحة من كابوس أو حقيقة حتى إنه توهم بين الإثنين؛ لشدة تأثير ذلك الكابوس عليه وعلى جسده المنهك؛ كأنه فعلا قد ضرب بالسياط ولم يكن حلما؛ فشعر علاء بذعر كبير بعدما تذكر ما رأى وهو الذي لم يشعر يومًا بالخوف من أحد أو من شيء خلاف ما اعتاده من خوف الناس منه و كل من حوله حتى اهله، ثم مد يده على مهل إلى رأسه؛ ليتأكد أن كان ما رأه حلمًا أم حقيقة؛ فارتعشت يداه ولم يقو حتى على الصراخ من شدة خوفه؛ فقد تلمس تلك البقعة التي غرزت المرأة أظافرها فيها ولم يجد فيها شعرًا، أي أنها قد أخذت بالفعل خصلة منه !

قام علاء من مكانه يضرب الجدران بجسده المنهك ويصرخ يكاد يجن لا يفهم بالضبط ما حصل له هل كان حلمًا؟ بالتأكيد لا فهناك خصلة مفقودة منه !

ولأول مرة في حياته بدأ بالعويل والاستنجاد بالشرطة الذين كانوا واقفين خارجًا، ولم يقو أحدًا منهم على الدخول الى زنزانته المعزولة و الوقوف وجها لوجه أمام هذا الوحش خصوصا بعدما رأوه من هيجان وصراخ

وعويل حتى ظنوا أنه قد جن، أو مسه الشيطان، أو لعنة ضحاياه باتت تلاحقه حتى تطلق آخر زفرات الحياة منه .

****

- (سأقوم بغرزك في رأس ابني القبيح) هذا ما تمتمت به تلك المرأة وهي تمسك بيدها خصلة الشعر التي أخذتها من علاء الأحمر ثم انزلتها بقوة في رأس متعفن لم يبق منه سوى الجلد والعظم متمتمة ببضع كلمات غير مفهومة، وريثما هي منهمكة بسحرها؛ فإذا بصوت ناشز يخرج من ثغرة في وسط ذلك الرأس المتعفن تشبه الفم المتحدث .

- "جايا " ما الذي تفعلينه برأسي الا يكفيه ما فعله ملك الجن به ! لقد اخذ مني كل شيء؛ حتى عدت كما ولدتني ضئيلًا مشوهًا غير مكتمل الخلقة و الأسوء من كل هذا بليدا واخرقا !

- لا.. لن استسلم ابدًا وستكون السلطة لك ما دام هناك الشر بداخل كل بشري ، وأنا مهمتي أن أجلب لك أسوء وأشر الخصال و ازرعها فيك؛ لتكون أقوى من شياطين الجن أجمعين، ستأخذ ملك ابوك ومجدي المستباح الذي سلبوه منا بعدما حصل ما حصل !

أجابت " جايا " وهي تجر نفسًا ملؤه الحزن والأسى ربما يعود سببه إلى شعورًا بذنب اقترفته ملكة العالم السفلي " جايا" بحق الملك "هادوس "

فقبل عدة قرون عندما كانت الملكة "جايا " ذات نفوذ وسلطة واسعين حوت جميع ممالك العالم السفلي،

فلا تفتح فوهة الشر و بوابته إلا بأمر منها، ولا تخرج روح شريرة إلى الارضإلا بعلمها، تضع جنودها المخلصين من العفاريت والأرواح على

معابر العالم السفلي ولا تفتح باب إلا بسحرها الكهنوتي، لم يجرؤ أحد على عصيان أوامرها أو حتى مجادلتها؛ لأنها لم تعرف معنى للرحمة أو المسامحة، كانت أشد قسوة من الغيلان والوحوش التي تأتمر بإمرتها، حتى زوجها الملك " آرا " لم يعصي لها أمرًا ؛ خوفًا منها واتقاء لشرها الذي لا يحده حد ولا يؤجِده وَجّد.

و ذات يوم همس خادم الملكة " جايا " بأذنها أمرًا جعلها مندهشة ..

- الملك " هادوس " ملك الجهات الأربعة على الأرض يطلب رؤيتك.

لم تعتد ملكة العالم السفلي على استقبال أحدًا من البشر والأحياء ولكن الأمر آثار فضولها؛ فوافقت على رؤية المدعو هادوس كما قالت لخادمها، وأمرت على اجتماعها به فوق عرشها الناري.

دخل الملك هادوس بعنجهية وغطرسة ولم يلق عليها حتى التحية بل أول ما قاله لها بصوت جهوري واثق

- مري ناشزيك من الموتى الأحياء أن يلزموا مكانهم في عالمكم السفلي هذا ولا يعاود أحدًا منهم التسلل إلى مدننا الأمنة وإلا ....

- وإلا ماذا أيها الملك الذي لا استطيع تذكر اسمه .

اجابته "جايا " بقوة بنبرة رافضِة للتهديد

- لم اعتد أن اكشف خططي لتدمير اعدائي

رد عليها هادوس بغرور؛ فاشتعلت النيران بجوف الملكة "جايا " لسماعها تلك الكلمات التي تنم عن بسالة واقدام قائلها خصوصًا عندما تقال بجراءة في حضرة ملكة الجحيم و العالم السفلي، لم يثر هذا الملك غضبها فقط بل

أثار غريزتها الإنثوية؛ حتى راحت تتقصد إرسال الأرواح الشريرة والموتى الأحياء إلى مملكته لإثارة غضبه محاولة منها لجلبه إليها وإخضاعه لها.

ولكن الملك " هادوس" كان شرسًا و ليس بأقل شرًا منها؛ فهو لم يخف أن يذهب عندها ولكن غطرسته منعته من الوصول إليها، خصوصًا بعدما استشعر ميل من جانبها إليه؛ ففهم ما كانت تفعل وما تصبو إليه؛ فجمع جيشًا جرارًا ترُى بدايته دون نهايته؛ لاقتحام العالم السفلي ووكر العفاريت والأرواح الشريرة والأسوء الموتى الأحياء (الزومبي).

فعندما علمت "جايا" بنية "هادوس" للهجوم عليها فكرت قليلًا ثم طلبت عقد هدنة بينهما ولكل واحدًا منهما شروطًا

فطلبت منه الحضور عندها؛ لتوقيع الإتفاقية دون احضار أحدًا من الحرس معه، مخبرة إياه انها لن تسمح لأحد غيره بدخول عرشها المبجل.

فوافق الملك " هادوس " على الذهاب بمفردة والوغول في عالم الشر؛ فدخل عليها وهو متوجس خيفة منها ، فما وعد السيء إلا نثارًا في مهب الريح، ولكن لم تكن بيده حيلة غير القبول، فأن استمر تسلل الزومبي إلى الأرض لن يبقى حي في مملكته، فانضوى داخلًا إلى عرشها الذي كان خاليًا ساكنًا لا شيء فيه سوى مائدة كبيرة تزينت بما لذ و طاب من الطعام والشراب؛ فخرجت اليه جايا شبه عارية وطلبت منه أن يتناولا الطعام أولًا ثم يوقعا الوثيقة؛ فوافق هادوس، ولم يتناول إلا قليلًا لإرضائها و لينتهي من هذا الأمر، فلم تمر سوى ثوان معدودات حتى وقع أرضًا عاضًا على لسانه فنادت على خدامها؛ ليضعوه على الفراش الملكي للملكة "جايا "،

ثم أعلنت وفاته على ممالك الأرض العليا والسفلى ومنع أي أحد من دخول تلك الغرفة التي تحوي جثمانه .

مرت الأيام بعد مقتل هادوس بصعوبة على أهل الأرض الذين قضي على نصفهم بهجومات الزومبي المتكررة عليهم، و لكن " جايا " هي الأخرى كانت تتصرف بغرابة كبيرة لا تقل عن ما كان الزومبي يفعلونه بالأحياء!

حتى زوجها الملك "آرا " لاحظ حدوث شيئًا ما لايدعو للطمأنينة فقرر متابعتها لمعرفة ما تخفيه!

وبالفعل وبعد منتصف إحدى الليالي أفاق الملك "آرا " و لم يجد "جايا" جانبه؛ فركض نحو تلك الغرفة التي خصصت لجثمان الملك "هادوس" وفتح الباب على مهل فصدم بما رأى.

فأخرج رأسه بسرعة واضعًا يدية على عينيه كي لا يرى المزيد وتوجه إلى فراشه وهو يتألم بحرقة تستعر النيران داخله، و بعد مرور ساعات الليل وبدء النهار بفرش لونه الأبيض على الأرض دخلت جايا وتسللت بهدوء إلى فراشها وكان التعب يبدو جليًا عليها

فاستدار الملك "آرا " إليها صارخًا بوجهها وهو يعاتبها ويقول لها

- كيف لك أن تخونينني مع جثة.. هل جننت يا جايا ؟!

فأجابته "جايا " بمكر يختبئ بين ثناياها و بصوت عالي

- لا.. بل أنت من جن ... فكيف لك أن ترفع صوتك علي؟ ثم إن الملك "هادوس " ليس ميتا، بل جعلته خالدًا حينما حولته الى (زومبي)؛ فقد سقيته بعضًا من سحري الأسود؛ ليبقى دومًا بجانبي وأنام كل ليلة بين أحضانه

المتعفنة وأشبع جسدي من لمساته الشرسة التي تجعل مني فريسة سهلة كضب بين فكي أفعى؛ فيعضني بأسنانه الحادة ويلقي إلي بمائه الرجولي الهجين من الأحياء والأموات، فأنا أريد الإنجاب من شخص مثله ولم أعد بحاجتك بعد الان يا "آرا" فكل ما كان يجعلني اتحمل وجودك جنبي هو إنجاب وريث لمملكة الشر وأنت لم تستطع منحي هذا، إما "هادوس" فقد منحني كل ما أريده وأنا الآن حامل بأبنه، وسيكون كائنًا فريدا لم يشهد العالم مثله، مثله فهو خليط منكر من أم آلهة للشر وأب ميت حي.

هذا آخر ما نطقت به "جايا " قبل أن تمد يدها إلى عنق زوجها الملك "آرا " و تقوم بخنقه حتى زهقت روحه.

وبعد بضعة أشهر ولدت "جايا" إبنها "شرذم" الذي تكون من أبشع وجوه وأفسد خصال، ولكن زمانا لم ينصرم حتى شهدت مملكة الجحيم غزوا من الجن والشياطين و قاموا بطرد كل ساكنيها خارجًا وتولى ابليس مُلك الشر، وأصبح جنوده من الجن والشياطين يجوبون الأرض ويعيثون بها فسادًا وشرًا؛ حتى تقاتل البشر فيما بينهم و تحول كثيرًا من ساكني الأرض إلى شياطين إنسية بفعل وسوسة الجن والاستيلاء على عقولهم، واندحرت جيوش الزومبي وهلكت بعد معارك دامت لقرون مع الإنس من جانب والجن من الجانب الآخر ولم يبق منهم أحدا.

أما الأرواح الشريرة فطردت من باطن الأرض وراحت تسكن المباني والأماكن المهجورة؛ لتتوارى عن أنظار الجن والإنس، والبعض منها فرض سيطرته على بيوت لشياطين إنسية وأصبحوا شركاءهم في سكنهم ومالهم بالأخص ذلك الذي تحصل بطرق غير شرعية؛ فأصبحوا يقاسمونهم مأكلهم.. مشربهم.. غرف نومهم و حتى حماماتهم.

وبعد اغتصاب مملكة الجحيم من قبل الجن تلاشى مجد الملكة "جايا" وأصبحت مطاردة من الشياطين للقضاء عليها وعلى إبنها "شرذم" وراحت تختبئ بين الكهوف و أكوام الحجارة؛ فرارا منهم

وانتظرت قرونًا طوال حتى اكتمل إبنها شرذم؛ فبدأت بتحضيره وإكمال خصال الشر فيه وسلبها من الشياطين الإنسية كي يكون سلطاناً لشياطين الإنس وبهذا يكون على مستوى المنافسة مع ملك شياطين الأرض" بافومت "؛ فجابت " جايا " أصقاع الأرض تبحث عن أسوء الخصال و أخسها لتزرعها في "شرذم" كي يكون على أهبة الإستعداد؛ لمواجهة الشر المتمثل بملكه "بافومت " والكاسب في هذه المعركة هو من يتوج ملك الشر لشياطين الإنس والجن .

وكان المجرم علاء الأحمر أول ضحايا "جايا "؛ لإقتلاع خصلة القتل منه وزرعها في رأس " شرذم " الذي كان ينتظر قدوم "جايا " للبدء بطريق الشر بعيدًا في أحد الكهوف القصّية عن البشر والجن

- ما الذي جلبتهِ اليوم ها أخبريني

سأل " شرذم " ذو الرأس المتعفن

- جلبت لك خصلة وجدت فيها أكثر ما يكره البشر ويخافه.. وهي القتل

أجابته "جايا " بهذه الكلمة (القتل) التي تعد من أسوء الخصال منذ الأزل، نعم فقتل النفس البشرية هي خط لا يمكن تجاوزه ومن تجاوزه تعدى الحدود البشرية؛ ليتحول إلى وحش على هيئة بشر من استطاع قتل واحد ولو بالصدفة فسيكون قادرًا على القتل دومًا، ولهذا قيل عنه بالكتاب الكريم أن من قتل واحدا كأنما قتل الناس أجمعين؛ فالفطرة البشرية تجب على الناس

احترام هذا الحق وإلا فستفنى البشرية من الأرض؛ لذا وضعت القوانين الإلهية والدنيوية على اعتبار قتل النفس من أكبر الكبائر لأنه تعدي على حق المعيشة واعتراض على خلق الله.

ثم أكملت تلك الشريرة حديثها مع إبنها ذو الرأس المتعفن

- أتعلم يا بني كل من فعل وحشد وحرض على قتل أحد سيكون من جندنا والأقرب إلينا؛ فملخص الشر ومنتهاه هو القتل، ثم ختمت كلامها بضحكة تهز الأبدان وربما تلك الرعشة الخفيفة التي تأتينا في كل مرة؛ فتقشعر أبداننا وترتعش دون سبب واضح ما هو إلا من ضحكة واستهزاء وإنتصار الشر بداخل تلك المرأة الملعونة هي أو إبنها.

نظرت " جايا " نحو الراس المتعفن فبدأ شيء ما بالتحرك داخله كأن كائن ما يريد الخروج؛ ليرى النور ولكن هنا ليس إلا وهج الظلام وعتمته فمن يرى الظلم منهجًا يكن له في الظلام وهجًا، ثم شُج الرأس المتعفن مكان ما غرزت "جايا " خصلة القتل؛ فخرجت أفعى صغيرة من هناك وهي تتموج بجسدها النحيف تحاول المضي ولكنها كانت لا تزال معلقة بالرأس لا تستطيع تركه؛ فقد نبتت منه وستبقى فيه، وهنا قفزت الشريرة من مكانها لتفقد أول غرزها ونجاح فكرتها الماكرة وهي تتمتم وتقول

- بدء المشوار الآن يا بني فنحن تماما على الطريق المخطئ

ثم مسكت الأفعى بيدها المخيفة وهي تمسد على جسدها وتقول لها

- بسببك مات الكثير وظلم الكثير من البشر، فقد جيشت الجيوش وحزمت للحرب والقتال، فقد رأيتك كثيرًا تترعرعين وتكبرين عند الكثير من

الرؤساء و الحكام على مر العصور، قتلت أولادًا ورملتي نساءً، و يتيمتي أطفالًا لمختلف الأسباب والمسميات التي خدعوا

البشر فيها كي يكونوا أدوات قتل لبعضهم البعض، فمرحبا بك في عالم الظلم والظلام فأني لا أراكِ إلا رأس الشر .

****

لعنة سايس الخيل

أسدل الليل ستارته السوداء الدهمة على الحقول الشاسعة التي كانت تحتل جزءًا كبيرًا من السهول المتوارية خلف الجبال العالية، كان كل هكتارًا منها ملكا لعائلة سكنت ذلك السهل الأخضر منذ الصغر

ومن اقدم العوائل التي سكنت المنطقة عائلة السيد "وحيد" الذي توفى منذ ما يقارب العشر سنوات، تاركًا منزلًا يصول الخيال فيه ويجول لا يسكنه سوى السيد "كمال" وأخته الأنسة "سعاد" اللذان كانا بعمر متقارب يتجاوز الخمسين بقليل.

لم يكن للسيد كمال حياة عائلية متمثلة بزوجة وأولاد، فقد أثر على نفسه وعزف عن الإرتباط؛ حفاظًا على ثروة العائلة وعدم إدخال غريبًا لسلبها - وفقا لتصوراتهم - وهذا كان سببه في رفض كل من تقدم لأخته سعاد حتى باتت المسكينة على مشارف العنوسة .

بددت تلك الظلمة الحالكة بضوء خافت صادراً من غرفة سعاد التي كانت تمسك كتابًا بيدها لقراءته كما اعتادت دومًا قبل الخلود إلى النوم، وكما اعتادت أن يجيء أخيها إليها ليلقي المحاضرة ذاتها عن التوفير..والترشيد ووجوب إطفاء هذا البصيص الصغير المسمى ضوءً ، وإقناعها إن النوم أنفع من القراءة .

و في أحد الأيام المشمسة خرجت سعاد للحقل؛ لقطف بعضًا من عرانيس الذرة لشويها وإعدادها لوجبة الغداء لها ولأخيها، و عندما عادت إلى المنزل فتحت باب غرفتها؛ لتتفاجأ بوجود جثة مكفنة بكفن ابيض هامدة على فراشها، انهارت سعاد وارتعبت ولم تستطع

حتى الصراخ و كل ما استطاعت فعله غلق الباب بقوة، وظلت ممسكة بمقبضها خوفا من تلك الجثة، حتى شعرت بتثاقل رجليها وبطء نبضها كأن شيئًا بدأ يسحب من رأسها نزولًا إلى قدمها ؛ ففقدت الوعي ووقعت أرضًا.

وبعد مرور ما يقارب النصف ساعة رجع كمال من المزرعة فوجد أخته على هذا الحال

- سعاد.. سعاد ما الذي حصل هل أنتِ بخير؟

تحدث كمال إلى أخته وهو يحاول رفعها عن الأرض، فتحت سعاد عينيها وهي لا تزال مفزوعة من هول ما رأت، حتى حاول كمال أن يفهم منها شيئًا ولكنه لم يستطع؛ لتثاقل لسانها وشدة ارتعاشها وكل ما عرفه أن هناك شيئا ما بغرفتها، وقف كمال بسرعة ورفع رجله محاولًا عبور الباب يعيقه جسد سعاد التي لاتزال ممددة أمام غرفتها؛ ففتح الباب بسرعة ليرى ما يحدث بالداخل، دخل عنوة وشرع بالبحث و أخذ ينظر تحت السرير، ثم فتح خزانة الملابس محاولًا العثور على ما أثار فزع أخته ولكنه عاد خال الوفاض فلم يجد شيئا غير طبيعي، فسأل اخته مستغربًا

- ما الذي وجدته بالضبط يا سعاد وارعبك إلى درجة أفقدتك وعيك ؟

- كانت هناك جثة ممددة على فراشي يا كمال أنا رأيتها بأم عيني أجابته سعاد بصوت متقطع جزوع

- ولكن يا أختي لا يوجد شيئًا انظري حتى إن فراشك لا يزال مرتبا !

أجابها كمال وهو مستغربًا كثيرًا لكلام أخته واضعًا يديه على الفراش؛ ليؤكد لها أنه لا يوجد شيئًا ، لم تعرف سعاد بماذا تجيب دخلت غرفتها وهي لا تزال ترتعش نظرت إلى كل شيء فوجدته بمكانه، رمت بجسدها المثقل

على الكرسي و هي تحدث نفسها

- ما الذي يحدث هل جننت أنا أم ماذا ؟

- سعاد يبدو أنك متعبة لما لا تأخذين قسطًا من الراحة؟

تحدث إليها كمال وهو يشير إلى الفراش

- ولكن يا كمال أنا متأكدة ....

قاطعها كمال

- سعاد لا يوجد شيء.. تعالي إلى فراشك .

لم تجد سعاد أي تبرير لرفض كلام أخيها؛ فتوجهت نحو فراشها على مضض رفعت الغطاء عن وجه السرير؛ لتفاجأ بورقة متروكة تحت الغطاء؛ فرفعتها بسرعة ونادت على كمال الذي خرج توا من غرفتها فرجع بسرعة إليها وهو يقول لها ...

- ماذا هناك يا سعاد لما صرختي علي

- انظر يا كمال هذه الورقة وجدتها تحت الغطاء في فراشي

اجابته وهي ترتعش خوفًا

فتح كمال الورقة ولكنه وجدها فارغة لم يكتب بها شيئًا، فهز كمال رأسه وهو يتساءل ما هذه الورقة إنها فارغة

صرخت سعاد..

- ماذا يعني هذا يا كمال؟

- لا يعني شيئًا.. إنها فارغة ألا ترين؟

أجابها كمال محاولًا تهدئتها

- لا أعلم أنا خائفة جدًا

أجابته سعاد مرتعبة، كانت سعاد تشعر بوجود شيء غريب يحدث فهي ليست المرة الأولى، ففي بعض الليالي كانت تسمع أصواتًا غريبة كأنها أنين و نواح شخص يتألم، وأحيانا تسمع صوت بكاء وعويل وطرقًا على الجدران

ولكنها لم تقل شيئًا ولم تخبر أحدًا بذلك، ودأبت أن تجد لكل شيء تفسير حتى وإن كان غير مقنع؛ حتى لا تخاف أو يقال عنها أنها قد جنت، ولكن ما حدث اليوم ألب الذكريات عندها؛ فراحت تتساءل هل هناك فعلا أرواح أو أشباح تسكن في هذا البيت ؟

لا.. لا اعتقد ذلك أي أرواح وأشباح تلك! فنحن في القرن الحادي و العشرين ثم رجعت لتسأل نفسها ..أيعقل ان يكون الجن هو الفاعل ؟

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. فلأقوم لأقرأ بعضًا من كتاب الله لطرد شياطين الجن وما يدبرون .

جلست سعاد على فراشها وبدأت بقراءة القرآن؛ لطرد الشياطين وما يمكرون، ولكن ما فاتها هو أن تتعوذ من شياطين الإنس قبل شياطين الجن

مرت الأيام بهدوء نسبي، وذات يوم دخلت سعاد إلى اسطبل الخيول خاصتهم كما اعتادت أن تفعل كل يوم؛ لتطعم الأحصنة بعدما توفى سايس الخيل خاصتهم منذ فترة تقارب الخمسة أشهر، فتحت البوابة الحديدية الكبيرة دافعة إياها بقوة ولكنها كانت أثقل من كل يوم!

دفعت بكل ما أوتيت من قوة ولكنها لم تفتح إلا بمقدار قليل يسمح لها بإدخال جسدها بصعوبة.. فحشرت نفسها في تلك الفتحة؛ لتكتشف ما الذي حدث للبوابة وجعلها ثقيلة هكذا؟ أو لربما هناك شيئا يعيق فتحه ؟

وبعد مشقة كبيرة دخلت إلى الإسطبل و توجهت رأسًا إلى الباب؛ لترى ما الذي يعيق فتحها ولكنها لم تستطع الرؤية جيدًا؛ فالضوء الذي كان يمر قليلًا لا يُمكنها من الإبصار بوضوح؛ فبدأت بالتحسس بيدها عسى أن تقع على العلة؛ فأحست بوجود شيء رطب ولكنها لم تعره أهمية فجل ما توقعته أنه ربما يكون ماء قد وقع من أحد الدلاء التي تشرب الأحصنة منها، و لم تجد شيئا يعيق الباب؛ فسحبته بقوة لفتحه، وما أن دخل الضوء حتى صرخت بشدة وهي تركض خارج الإسطبل وتنفض يداها محاولة التخلص من الدماء التي كانت تغطيها .

دخلت إلى المنزل و أغلقت الباب ورائها وهي تصرخ بأعلى صوتها على كمال الذي لم يجبها، واستمرت بمناداته ولكنه على ما يبدو لم يكن في البيت فظلت خائفة مضطربة لا تعلم ما تفعل سوى الصراخ والركض والهرب لكن ممن أو إلى أين لم تكن تعرف!

فأخذتها رجلها إلى غرفتها؛ فتحت الباب وهنا كانت الصدمة الأكبر لها حينما وجدت الكفن ذاته مرميًا على فراشها تلطخه بعض الدماء؛ فأطلقت عولة كادت حنجرتها ان تنفصل عنها من شدة خوفها فلم تشعر بشيء بعدها فقدت وعيها وارتمت على الأرض جثة خامدة، ولم تشعر إلا بيد تهزها بعنف وتقول لها ...

- سعاد ما الذي يحصل هنا استيقظي هل أنت بخير؟

تحدث كمال بصوت مفزوع إلى أخته وهو يضربها على وجهها عسى أن تعود لوعيها ولكن دون فائدة، حتى هرع وجلب كوبًا من الماء البارد و رشقه بقوة على وجهها علها تصحى، وبالفعل لم تمر سوى دقائق حتى أفاقت و خداها محمران لكثرة ضرب كمال عليهما ليعيد لها وعيها .

- كمال.. أخي لا تتركني، أنا كنت أناديك وابحث عنك لأني كنت خائفة جدا.

أمسكت سعاد ذراع أخيها وهي تتوسله أن لا يتركها خوفًا من عودة ذلك الشيء المخيف

- لقد كانت هناك دماء في الإسطبل يا أخي صدقني ومسكتها بيدي هذه انظر.
خاطبت سعاد أخيها وهي تبكي خوفًا وترجوه أن يصدقها حتى رفعت كف يدها أمام وجهه كي تثبت صحة قولها وكي لا يتهمهما بالجنون

وهنا قاطع كمال أخته قائلًا لها بصوت مختنق

- أنا أصدقك يا سعاد.. فقد رأيت الكفن المدمى فور دخولي إلى الغرفة وقد كنت خائفا عليك عندما رأيتك ممددة على الأرض

فوقفت سعاد بمساعدة أخيها؛ لتخرج من هذا المكان المريب وهي تشرح له ما حدث لها في الإسطبل، ولكنها قطعت كلامها بغتة بعدما رأت مرآتها التي تبدو ملطخة بالدماء لأول وهلة ولكن عند التركيز عليها لمحت عليها كلمات مخطوطة بالدم

" سأعود لأنتقم منكم فردًا بعد فرد "

قرأت سعاد هذه الكلمات بصوت مرتعش وهي تقبض بقوة على ذراع أخيها، فتوقف كمال بعد سماعه لأخته وهي تتلو تلك الكلمات المخيفة، فأدار رأسه نحو المرآة و فتح عينيه وفمه عندما قراء ما مكتوب ولكنه لم يتكلم بشيء فكان يبدو عليه الصدمة والخوف، أسرع الإثنان بالخروج من تلك الغرفة وتوجها نحو غرفة الجلوس، جلسا الأخوان دون أن ينبسا ببنت شفة من هول ما رأوه ثم نطقت سعاد

- انها اللعنة ذاتها يا كمال ولا تفسير لكل ما جرى الا هي !

-أي لعنة يا سعاد.. وأي تفسير تقصدين ؟

- إنها لعنة سايس الخيل خاصتنا فأنت المذنب الأول في موته

- سعاد أنت تخرفين فأنا لا ذنب لي في موته

أجابها كمال بعنف موشحًا نظره عنها .

- بلى أنت المذنب الأول يا كمال.. ولكن ما لا أفهمه لماذا أنا ؟ لم كل شيء يخيفني أنا لا أنت وكأنني انا من كنت المذنبة .. وأنا لو عاد الأمر لي لما طردت زوجته ولأعطيتها كل ما تحتاجه وفاء للأيام التي أمضوها بخدمتنا .. انا لا افهم

سكت كمال ؛ فلم يستطع تبرير ما فعله مع سايس الخيل الذي قضى عمره متفانيًا في خدمة عائلة بيت السيد "وحيد" والد كل من كمال وسعاد، وحين صرعه المرض وتركه طريح الفراش أقاله السيد "كمال" من وظيفته وقطع عنه راتبه الذي كان يتقاضاه شهريًا لقاء عمله، فهو بنظره لم يعد يستفيد منه فقد طعن في السن حيث بلغ الثمانين من العمر ولم يعد نافعًا لعمل سايس الخيل؛ فهو عمل يتطلب شابًا قويًا يعتمد عليه، وما زاد الطين بلة هو مرضه

واضطراره إلى البقاء في بيته، لذا قرر السيد كمال قطع راتبه وحرمانه من المعاش القليل الذي كان يتصدق عليه به، ولكن زوجة السايس المسكين لم تيأس وراحت تتوسل السيد كمال كي يساعد زوجها ويقرضها بعضًا من المال؛ لتستطيع دفع فواتير المستشفى التي أشار الطبيب عليها بوجوب رقود زوجها فيها لأجل العلاج.

ولكن السيد كمال كعادته رفض متحججًا بنفس الكلمات التي اعتاد قولها

- يا ليت لو كنت أستطيع مساعدتك ولكني حقًا لا أملك من المال شيئًا، فالكل يريد أن يأخذ مني و لم يفكر أحد من أين سأتي أنا بالمال؛ فانا فقير أكثر منك ومنه.

وعندما الحت عليه زوجة السايس وراحت تحاسبه على كل حقوق زوجها التي اعتاد أن يأكلها كمال بسبب بخله الفظيع؛ طردها كمال من بيته وقال لها انه سيطلق عليها كلابه إن عادت مرة اخرى كي يوفر ثمن اطعامهم لأيام بعد ان يأكلوا وجبة دسمة منك ثم اردف قائلا ...

- ليتك تجلبين معك زوجك بالمرة المقبلة كي تكونا وجبتين بدل الواحدة لكلابي.

فخرجت زوجة السايس وهي تقول له:

- لا نمت ليلك.. و لا أمنت نهارك أيها البخيل المعتوه

كان كمال بخيلًا جدًا و يحب المال حبًا جماً حتى إنه مستعد لفعل أي شيء لأجل الحصول على المال، حتى أن اخته المسكينة التي تجاوز عمرها الخمسين لم تتزوج، فلم يكن يقبل بأي رجل يتقدم لخطبتها؛ خوفًا من أن يأخذ أحد من ماله شيئًا حتى وإن كان حقه، فكان في كل مرة يتحجج بحجة ما

تجعل الرجال يرفضون ما يطلبه منهم، حتى مرت السنين بتسارع ولم تشعر سعاد إلا وهي قد شارفت على نهاية الأربعينات؛ فاستسلمت حينها وأسلمت أمرها لربها وهي تشكو ظلم أخيها وبخله الذي جعل منها عانسًا، حتى انه كان يبخل عليها بمالها هي فلم يكن يقبل أن تأخذ منه شيئًا و تظل تتشاجر معه حتى تستطيع الحصول على بعض منه لشراء إحتياجاتها.

وكان آخر شجار بينهما هو رغبة كمال ببيع المنزل والمزرعة ورفض سعاد الدائم له لأنها تعتبره أرث آبائها، فهي قد نشأت وترعرعت في هذا المكان ولا تعرف غيره، ولكن طمع كمال بالمال جعله يلح على أخته لأجل البيع فكان هناك من يدفع مبلغًا كبيرًا جدًا مقابل المنزل والمزرعة، ولكن سعاد لم تكن تهتم للمال لذا كانت تقف بوجهه دائمًا، ولكن بعد كل ما حدث في هذا المنزل وتلك اللعنة التي باتت تطاردهما جعلت سعاد تفكر بالتخلص من هذا المنزل وكل ما يحويه من رعب ولعنات، لذا فقد وافقت أخيها على بيع المنزل والإنتقال بعيدًا من هنا.

وبعد مرور أسبوع على تلك الحادثة الآخيرة في الإسطبل قررا الإنتقال من المنزل لبيعه

- هيا يا سعاد الم تنتهِ من حزم أمتعتك، كم لديك من الأغراض والملابس والآشياء التي لا قيمة لها والتي كنت تأخذين المال مني وتذهبين لشرائها، والآن انظري ثقل حملك بسببها و سيتوجب علي تأجير سيارة أكبر لحملها بدل التوصيلة المجانية التي تبرع بها صديقي حازم لنقلنا الى مكاننا الجديد

هكذا تحدث كمال إلى أخته سعاد التي أجابته بصوت غير راض عن كلامه وهي تشعر بالتجني عليها من أخيها الوحيد

- كمال أنا لا أملك إلا ملبس واحد للصيف، وأخراً للشتاء، فأنت لم تعطيني المال لشراء الملابس منذ سنين، وثانيًا تلك الآشياء التي لا قيمة لها بنظرك ما هي إلا كنوز أهداها أحدهم لنا بمقابل بخس.

لمعت عينا كمال عندما سمع كلمة كنوز وبمقابل بخس ...

- حقا يا أختي أين هي الكنوز ؟

متجهًا نحو حقائب سعاد للتفتيش عن الكنز وتناول صندوق خشبي ثقيلًا مقارنة بحجمه

- دع عنك هذا الصندوق يا كمال ... وانسى ولو لمرة المال والأرباح ما قصدت حين ذكرت الكنوز إلا الكتب الثمينة تلك التي كتبها المفكرون والمثقفون وأهدونا عصارة أفكارهم بثمن قليل.

اجابته سعاد وهي تحاول أخذ الصندوق من يد أخيها

- أترين كيف أفسدت عليك تلك الكتب عقلك؛ فأصبحتِ تتحدثين بالرموز والألغاز؟! أجابها كمال باستهزاء

- بل أنارت الكتب عقلي؛ فباتت لي خير نديم وحضن دافئ يحميني من كل ما يجري حولي من غرابة في هذا المنزل، وما يفسد العقل و الفعل إلا المال وحبه يا أخي !

ردت عليه سعاد وهي تحتضن أحد كتبها للإحتماء به وهي تتلفت حولها كأن شيئًا ما يفزعها ويحاول أذيتها .

- لا تقلقي يا أختي العزيزة سنترك هذا البيت ولعنته

أجابها كمال وهو يتجه نحو الباب واضعًا يده على مفتاح الكهرباء

- ألن ينطفئ هذا الضوء اللعين.. نامي يا اختي واشتغلي غدا على ضوء النهار فهو مجانًا

- حسنًا اطفئه.. فأنا سأخلد للنوم لأني بت أشعر بالإرهاق والنعاس.

توجه كمال إلى غرفته بعدما تأكد من أن كل الإنارة بالمنزل باتت مطفأة، وما أن وضع رأسة على وسادته حتى بدأ بالتقلب في فراشه كأنه كان يذبح أو ما شابه ....

- كمال ... كنت دومًا نديم ورفيق درب لا غنى عنه، كنت أراقبك دومًا فأنت ذكي وخبيث جدًا، توظف تفكيرك وأفعالك للشر؛ وهذا ما جعلني قريبة منك دومًا، و أنا الآن احتاجك ! فكن كريمًا لمرة و جِد علي ببخلك وطمعك يا كمال

فمدت " جايا " يدها على رأسه؛ لتقلع خصلة من شعره وهي تكلمه بصوت كأنه ريحًا صفراء وقت هبوبها، مخيفة ومؤذية لكل ما تلمسه وتضع يدها عليه، رفع كمال يده محاولًا دفع يد الساحرة عن رأسه ولكن لا جدوى فهو لا يزال نائمًا وضائعًا بين الحلم والواقع.

- ابتعدي عني أيتها القبيحة.. من أنت وماذا تريدين مني ؟

صرخ كمال وهو يتحدث إلى " جايا " التي كانت لاتزال تحاول قلع تلك الخصلة اللعينة منه، ولكن كما اعتاد كمال أن يعطي كل شيء بصعوبة، وكانت الساحرة تقبض بقوة على راسه وهي تصرخ بصوتها النشاز...

- اخرجي أيتها الخصلة، فقد اعتاد التقتير في العطاء فهذا هو ابرز صفاتك وألعنها لذا تعالي إلي.

- من أنتِ اللعنة عليكِ أتركِ رأسي

صرخ كمال بأعلى صوته وهو ممسك بيدها يحاول أن يبعدها عنه ولكن دون جدوى، كانت كطفيلي يتغذى على دماء ضحاياه وأسوء خصاله عاشوا معها وعاشت معهم.

- أتلعنني يا كمال ؟ بل إلعن نفسك فأنت لست أفضل مني بشيء أم تحسبني سعاد تلك الغبية التي كادت أن تجن بسبب طمعك.

الم تضع ذلك الكفن على فراشها ورحت في ليلة ظلماء كما قلبك و ذبحت كلبًا؛ لتضع دماؤه على قارعة باب الإسطبل ؟

وأنت من كتب على المرآة عن تلك اللعنة ولا يوجد من هو ألعن منك ، وترمي بجرمك على الأرواح والجن؛ فليعتلموا منك أيها العزيز، فأفضل ما فيك دهاءك وخبثك، والأروع تلك النظرة البريئة التي تدعيها دومًا، لتضليل ضحاياك؛ فأنت تأكل من لحمهم وتبكي عليهم جهرًا وباطنك يملؤه الزهو بالأخذ دون العطاء، وهنا يكمن الفرق عنهم فهم لا يستطيعون خلع رداء الخبث عنهم، فهذا ما عرفناه عنهم ولكن انت وكل من مثلك من البشر لديهم تلك المقدرة أن تدعي البراءة وتمثل المسكنة وترمي بذنبك على من لا يستطيعون الدفاع عن نفسهم ، لقد تفوقت عليهم يا عزيزي بطمعك وخبثك وبخلك، أما اليوم فأنا من سيأخذ منك... هاهاها.

فرفعت يدها القبيحة عن رأسه وقد أخذت معها تلك الخصلة وطارت بعيدًا، وكمال ظل ينوح ويبكي لا يسمعه أحدا مهما حاول الإستنجاد أو طلب المساعدة ممن حوله حتى رفع الليل ظلمته معلنا حلول النهار.

- كمال.. كمال ما بالك يا أخي هل أنت بخير لم عيناك دامعة وتقبض على يديك بقوة هكذا؟ كمال أجبني استيقظ أرجوك

تحدثت سعاد إلى أخيها بعدما نادته للفطور، ولكنه لم ينزل فقررت الصعود إليه لإيقاظه، ولكن ما وجدته أثار فزعها؛ فكمال كان يبدو عليه كمن خاض الموت وعاد ويداه كانت ممسكة ببعضها بقوة كما اعتاد أن يفعل بالقبض دوما على كفه الذي لم يكرم أحدا يومًا، حتى آل به الأمر ان يأكل من حق الآخرين؛ ليشبع طمعه ويرضي بخله الذي رماه في قعر أراذل الصفات.

وصلت " جايا " إلى وكرها الذي كانت تفوح منه رائحة النحس ويملئ الشؤم كل زاوية من ذلك المكان المبهم، فنادت بصوتها الجهور

- تعال إلي يا بني فقد جئتك بالبائقة الآخرى

ثم أخرجت الخصلة من جعبتها ومسكتها بقوة ثم غرزتها برأس إبنها القبيح، وتمتمت بتلك الكلمات الغريبة كما فعلت في المرة السابقة وظلت تنظر إلى تلك الغرسة في الرأس المتعفن؛ فبدأ بالتشقق وأنبت أفعى صفراء اللون تخرج رأسها من الثقب الذي نبش في الراس، وترد بسرعة فهي حتى تبخل على نفسها بالخروج.

فصرخت " جايا " وهي تضحك وتقول ...

- نعم أنت البخل الذي يجعل الإنسان يتحول إلى وحش بلمح البصر إن تعلق الأمر بالمال !

****

طبيب يداوي الناس وهو عليل

طُرقت الباب طرقة خفيفة، وقف " شرذم " ذو الرأس المتعفن وتوجه نحو الباب؛ فتذكر كلمات أمه و تحذيراتها الدائمة من شياطين الجن فتراجع وذهب ليرى من الطارق قبل أن يفتح الباب، ونظر من خلال العين السحرية الكبيرة المعلقة بالهواء والتي تتوسط مثلث من ثلاث أضلاع متساوية ؛ فيستطيع رؤية من في الخارج دون أن يروه.

كالجانب المظلم من القمر يرى الناس وما يفعلون ولا يراه أحدًا و رغم كونه قمرا لكنه لا يضيء مكانًا أو طريقا لأحد لأنه معتم السواد والاثر.

نظر " شرذم " من خلال العين السحرية فوجد فتاة صغيرة لا يتجاوز عمرها العشر سنوات، تقف عند باب البيت المهترئ الذي يضم شرذم وأمه تحمل بيدها شيئًا ما تحاول أن تخفيه وراء ظهرها، رفعت يدها الصغيرة مرة أخرى لتطرق الباب، توجه شرذم نحو الباب فهو لن يكون خائفًا من طفلة صغيرة ربما تحتاج إلى المساعدة أو ربما تكون وجبة شهية طازجة لشرذم وأمه، فتح الباب لها وهو يحاول أن يظل في الظلام؛ كي لا تفزع الصغيرة من قبح ونتانة ما تراه أمامها، وخصوصا ذلك الثعبانين المنبثقين من رأسه و االلذان ما يزالا نحيلين لا يقوى" شرذم " على السيطرة والتحكم بهما، فسألها وهو خلف الباب وينظر إليها من خلال الأجزاء المتكسرة منها ، وبصوت غليظ مخيف

- ماذا تريدين

أجابته الفتاة الصغيرة بصوت ناعم مرتعش

- أنا اسمي ليلى.. أرجوك ساعدني فأنا تائهة ولا أعرف شيئًا عن هذا المكان

-هاهاها ... ليلى وسأكون الذئب خاصتك

تمتم "شرذم" مع نفسه وهو يفرك بيديه لإستقبال وجبته، وبدأ لعابه ذا اللون الأسود برائحته المقيتة يجري من فمه الممزق وما حوله من الشقوق والوصل المهترئة...

- وكيف وصلتي لهذا المكان فلا أحد يعرفه؟!

ثم سكت لوهلة بعد أن بدأ دماغه المتعفن بالتفكير.. هل أنت من الجن ؟

وأخرج رأسه الكريه من الباب لأخافتها وجعلها تقول الحقيقة، صرخت الفتاة بعد أن رأت وجهه المخيف وضمته بكفيها الصغيرين وهي تتوسل إليه وتقول له وهي مرتعبة

- أرجوك يا سيدي الوحش أنا خائفة من هذا المكان لذا لن أبرح هذا البيت وأنا أتوسلك أن لا تؤذيني لأني لم أؤذي أحدا وأنا لا أعرف الجن ولم أراهم يومًا

أجابته الطفلة وهي ترتعش، تعجب "شرذم" من وجود هذه الفتاة في هذا المكان ولكنه اطمأن أنها لن تهرب؛ فقد وجدت في هذا البيت ملاذًا آمنا لها وارتأى أن يتمهل في التهامها؛ حتى ترجع أمه وتنظر في أمر هذه الفتاة، ثم قال لها:

- حسنا لن أؤذيك أنا أعدك

وهو يضحك بخبث بداخله، لن أؤذيك أبدًا تعالي وادخلي يا صغيرة، دخلت الفتاة إلى البيت الصغير ذي الرائحة الكريهة ، نظرت إليه بتمعن وخوف، ثم أشاحت بنظرها نحو شرذم فدنت منه ورفعت يدها نحو وجهه القبيح

وراحت تتحسسه بيدها الناعمة ونظرات عينيها وصوتها الناعم يخبر عن كمية اللطافة والبراءة التي تحملها هذه الصغيرة، استغرب "شرذم" من تصرفات هذه الصغيرة المثيرة للدهشة، ولكنه لم يفكر للحظة بأنها قد تكون مؤذية؛ لما يظهر عليها من حنو ولطف

- ما الذي تحملينه بيدك ايتها الصغيرة ؟

-إنها حمامة.. وجدتها ترفرف بجناحيها تستنجد بأحد أن ينقذها من فكي قرد لئيم يحاول أن يأكلها؛ فصعدت الشجرة وأخذتها من بين يديه والتهمت رأسها كي لا تبقى تشعر بألم عضات القرد لها.

أجابته الفتاة الصغيرة وهي تنظر بتلك العينين البريئتين إلى"شرذم" نظرة حادة ومخيفة؛ فمدت يدها إلى رأسه وضربته بقوة حتى رمته أرضًا.

وقع "شرذم " من مكانه ثم نظر إلى الفتاة بإندهاش.. والتي بدأت بالتشقق والتناثر فظهرت في الآخر أمه " جايا " التي بدأت بتوبيخه بأشرس الكلمات وألعنها وهي تلومه على سذاجته...

- أيها الأحمق كيف لك أن تصدق ما جرى ؟ لو لم أكن أنا لو كنت مخلوقًا ثانيا ماذا كان سيحل بك وبمستقبل شياطيننا؟ ولن تكون يومًا ملك لشياطين الإنس والجن إن بقيت تصدق ما ترى وتعطي الثقة ولو للحظة لما يظهره أحدهم أمامك بل ابصر إلى داخله أيها الغبي وإياك أن تنخدع يومًا بما يظهره لك الآخرون.. فالكل يا شرذم يكون ودودًا دوما وهو يحوي بداخله مستنقعًا من النتانة والسوء مثلما ظهرت لك الآن بوجه بريء و هيئة ملائكية لا يجرؤ احد على الشك به للحظة وبداخله كنت اختبئ انا.. فهذا درس لك يجب أن تتعلمه.. دومًا كن منافقًا و مرائيًا كي تخدع كل من يود أن يُخدع ؛ فأنا لا

أظن إن أحدًا لا يفهم الشر من الخير.. والنفاق من الصدق ولكن البشر اعتادوا على رؤية ما يودون رؤيته لا حقيقته.

لذا رحلتي اليوم ستكون طويلة لمكان بعيد وسأتأخر إلى أن أعود، فأنا ذاهبة لأرض النفاق والرياء؛ لأجلب لك أهم خصلة وأسوأها كي أجعلك على أهبة الإستعداد لمواجهة شيطان الجن و غلبته

هذا ما حذرت ونصحت به المشعوذة "جايا " " شرذم " كي يفوز بالسيطرة على العقول بالنفاق لا بالحق وقوله ، كي يكون مؤهلًا لنيل لقب ملك الشر للإنس والجن .

بدأت "جايا" بحزم أمتعتها من الشرور والأذى وسافرت إلى وجهتها التي ستجلب منها خصلة النفاق .

- حامد.. هيا ادخل علي المريض التالي

نادى الطبيب وهب على سكرتيره حامد لأجل إدخال المريض لفحصه في عيادته المتواضعة التي تشغل مساحة صغيرة بأثاث قديم و لون جدران لم يعد واضحًا لكثر ما مرت عليه سنون من الخدمة بما يقارب العقدين دون

تجديد، وحتى الإنارة في تلك العيادة البالية كانت خافتة للغاية تشرح تعبًا

وإرهاقًا من الخدمة المتواصلة حتى خفت وبهت نورها، وعند فحص المريض كان يشغل دكتور وهب مصباحه المنضدي العتيق؛ لأجل الحصول على رؤية أفضل، كل هذا يعطي انطباعًا واحدًا عن هذا الطبيب وعيادته الأقل من العادية، إنه إنسان زاهد أولًا.. و كريم ثانيًا ...

- دكتور وهب.. لقد وصل السيد "ناصر" زعيم العشيرة الأكبر هنا وقد جلب لك صندوق من الكرم الأبيض.. وآخر من المشمش النضر فأين اضعهما ؟

- حامد يا ولدي خذ لك نصف من كل منهما.. وأوصل الباقي إلى المنزل.
هذا كان جواب الدكتور وهب الكريم، ففرح حامد لكرم الدكتور وهب الدائم له، حتى كادت أن تصل محبته وإمتنانه له ولحسن أخلاقه أن يقفز ليطبع قبلة على جبين هذا الرجل الصالح.

وبعد أن انهى الدكتور وهب فحص المريض طلب من حامد أن يدخل عليه ذلك الرجل المهم زعيم العشيرة المدعو بالسيد "ناصر"، أكمل د. وهب فحصه الكامل عليه بأدواته البسيطة ثم حرر له قائمة من الأدوية وقام بإرجاع النقود التي دفعها السيد ناصر من أجل الفحص.

كان هذا ديدن د. وهب، فهو في الغالب لم يرضى أن يأخذ مقابل عمله،وكان مكتفيًا بأجرته القليلة جدا مقارنة بأقرانه من الأطباء الإخصائيين في المنطقة ذاتها، حتى يذهب به الكرم أحيانا أن يأبى أخذ أجرته وأتعابه من الفقراء والمعدمين مثلما حصل مع تلك المرأة الأرملة التي تسكن هي وأطفالها الخمسة اليتامى في غرفة صغيرة جدًا لا تكفيهم أن حاولوا النوم جميعًا، كانت تعيش على المساعدات التي يقدمها الناس، والطعام الذي يتبقى من

الجيران يرسلوه كصدقة جارية لها، كما ابتليت بمرض ينهش جسدها النحيل؛ فصار لزاما عليها أن تدأب على زيارة الطبيب و بالطبع المختار هنا هو د. وهب الكريم المعطاء راعي الفقراء والمساكين.

لذا كان لدى د. وهب شعبية واسعة ومحبة في قلوب كل معارفه؛ لطيبة قلبه وحلاوة لسانه، والتزامه بكل حدود الدين والأخلاق، تخدمه في ذلك نظرة

عيناه الذابلة الهادئة، و حركاته المتزنة، وصوته الناعم الدافئ الذي يمنح محدثيه مزيدًا من الثقة والتسليم وبالتأكيد المحبة .

حتى ملبسه كان قديم متهالكًا، لا يفوت على رائيه اندثار موديله وتحول اشباهه إلى رقع ينظف بها رفوف أثاث المنزل وشبابيكه!

لم يكن د. وهب يعمل في عيادته فقط، بل كان عمله الاهم مديراً لمؤسسة صحية تعنى بالأمور الإدارية للمؤسسات الصحية الفرعية التابعة لها في تلك المنطقة الريفية، هذا الشيء مكنه من أخذ أحد الدور التي كانت مخصصة للأطباء المقيمين والذين تبعد مناطق سكناهم الأصلية كثيرًا عن تلك الناحية النائية، وهذا المنصب المتواضع أهله لإستخدام السيارة المخصصة لتلك المؤسسة.

د. وهب لم يرضى يومًا بظلم أحد في جميع مؤسساته التابعة له ولا يأتي إليه احد للشكوى ويرده خال الوفاض؛ فأعتبره سكان تلك المنطقة نعمة أرسلت إليهم؛ لما يمتلك من حسن خلق ولباقة و طيبة وكرم، دومًا يجتمع بموظفيه لإرشادهم وتوعيتهم و يؤكد عليهم ضرورة خدمة كل مواطن وكل مريض وأن لا يرُد أحد أبدًا؛ كي لا يرد الله لهم دعاء .

وذات يوم دعى كل منتسبي مؤسسته إلى داره المتواضعة؛ لعزومة كبيرة أقامها ثوابًا على روح والديه المتوفين منذ زمن طويل، فامتن كل الحضور له وأشادوا بحسن ضيافته، وصفاء سريرته، و بره بوالديه المتوفين و كياسته وقلبه الرحيم، ثم مضى كُل في سبيله، حتى جن الليل وأمر الجميع بالخلود إلى النوم، وما كان من د. وهب إلا النوم في فراشه بعد يوم مرهق و زوجته غافية بجانبه

- وهب يا عزيزي لن اؤذيك.. سأخذ خصلة من شعرك الجميل هذا وأرحل ولن تراني مجددًا.

تكلمت " جايا " بتلك الكلمات لوهب الذي جفل فجاءة ثم عاد للنوم سريعًا

وما أن أغمض عينيه ثانية ودخل عالم الاحلام عاود رؤية تلك المرأة قبيحة الشكل، رثة الملابس، تقترب عليه رويدًا رويدًا وكلما تقدمت أكثر بانت ملامح وجهها اللئيمة القاسية أوضح .

- انتظري أيتها المرأة المسكينة ما الذي تريدين اخذه مني؟ واقسم لكِ إن كان ما ستأخذينه سيخدمك ويخدم الجميع فأنا مستعد أن أعطيك قلبي قبل خصلة من شعري.. فأنا عبرت عمر الستين ولم يعد في العمر لي من أهمية. سبق وهب الساحرة الشريرة بحديثه هذا؛ فتوقفت " جايا " فجاءة مستغربة من نبل هذا الرجل وشجاعته؛ فاختفت من أمامه بسرعة و رحلت ماضية إلى وكرها، دخلت وهي متعبة ورمت بنفسها على كرسيها الذي يفيض منه الدود حتى دخل "شرذم "عليها بعد أن علم برجوعها و سألها ...

- أرى إنكِ لم تجلبي لي شيئا.. ما الذي دهاك هل كبرت وبدأ الخرف عندك
- أصمت يا ولد لا تكلمني هكذا فأنا"جايا" ملكة الشر وأن وصلت للحضيض في ظل وجود شياطين الجن واستيلائهم على الشر، ولكني سأعود للمجد والسلطة مرة أخرى بفضل خبثي وشري.

- هاهاها وهل تريديني محادثتك بأدب وأنتِ لم تعلميني يومًا إلا على الأسوء والأبشع والأشر.. لا تكثري من الكلام وقولي لي ما الذي حصل

أجابها "شرذم " بوقاحة وصوت عال كما اعتاد دومًا.

- أنا محتارة جدًا فعندما وصلت إلى ذلك الشخص الذي يفترض أن أخذ منه الخصلة إياها عرض علي قلبه! فتوقفت عندها وفكرت ربما يكون طيب الخلق وبهذا يكون شرط الشر قد أسقط عنه

أجابته الشريرة وهي تمسك بقوة بعصاها التي ضربت بها تلك العين المعلقة

فتزلزل المكان ووقعت الأشياء من مكانها، وفتحت العين حتى أخرجت مقلتها الحمراء المخيفة و صرخت بصوت كأنه إعصار جعل كل شيء يهتز رعبًا حتى سيطر الشر على المكان وغلب عليه القتام، فلم يكن أي شيء يرى ما عدا تلك العين الحمراء وهي تزمجر..

- كيف تجرؤين على ضربي أيتها العجوز الشمطاء

- وأنتِ كيف تجرؤين على إرسالي للشخص الخطأ فلو جئت بطيبة قلب ذلك الرجل لقتلت إبني وقتلت معه حلمي في السيطرة على قوى الشر في هذا الكون .

أجابتها " جايا " بصوت يشبه صراخ الغاضبين في سوح الوغى.

جهرت العين بصرخة ضاحكة بتهكم على " جايا " الشريرة وهي تجيبها باستهزاء ...

- أي طيبة قلب هذه! فكل ما وجدت أنتِ و باقي الناس ما هو إلا نفاقً.. أنتم لا ترون ما نرى.. فهذه المرأة الفقيرة التي لم يأخذ منها أجرة الفحص انتزع منها أضعاف أجرته عندما دون لها أدوية لا حاجة لها بها وأرسلها إلى صيدلية جنبه وما تلك الصيدلية إلا ملكه، هو يمتلك بناية سكنية في مركز المدينة بدل تلك الدار الحقيرة، و يمتلك أفخم السيارات في قصره الذي امتلكه

بعد أن وقع على صفقة فساد وأخذ حصته الكبيرة من الرشوة تلك التي تقاسمها مع رؤسائه .

إما تلك المعاملة الطيبة التي كان يتحلى بها مع الناس وموظفيه هي كانت على أساس تقسيمهم الى قسمين .. أول قسم هم الناس الذين لهم تأثير مادي أو معنوي كبير على مسيرته وعمله.. و القسم الثاني هم تلك الفئة الفقيرة التي يقدمها دومًا على خط النار كي يكون هو السيد المنصف.

هذا الرجل ولد ليكون منافقًا، فمنذ نعومة اظفاره رضع نفاق حتى شبع؛ ليكون مواليًا للحزب الحاكم آنذاك، وعندما تغير الحكم واستولى المعارضون على زمام الحكم أصبح من أبرز الموالين لهم .

والآن هل لكِ أن تسمي النفاق اسمًا غير اسم هذا الرجل؟!

حتى أنتِ أيتها الحمقاء الشمطاء استطاع أن يخدعك بطيبة قلبه وحسن أخلاقه الزائفة حتى بات أن يدرك هدفه، ويكون النفاق هو سيد الموقف في الشر كله، الآن إذهبي وأجلبي تلك الخصلة منه فلم أجد أخس منها؛ لتنافس وسوسة شياطين الجن و أذيتهم .

ساد الصمت على المكان بعدما تفاجئ الإثنان "شرذم" و "جايا " مما سمعا، ولكن " شرذم " حاول أن يوجه الخطأ إلى العين السحرية مرة

أخرى بسؤاله لها ...

- حسنا أيتها العين السحرية هل لذكائك أن يخبرنا عن سبب إختيار هذا الرجل دون غيره والمنافقين كثر على مر الزمان وفي كل مكان ؟

فأجابته العين السحرية بسخرية محاولة منها لتوبيخ " شرذم " بعد أن شكك بقدراتها السحرية

- كما قلت لكم سابقًا إننا نرى ما لا تستطيعون رؤيته حتى وإن كان أمامكم فالعقل الذي لديكم كبيرًا ولكن أنتم من تعمد استعمال جزء صغير منه.. و لو استعملتم نصفه لكان بإمكانكم حتى التحليق في الفضاء بعقولكم وأرواحكم قبل أجسادكم.. ولتعلمتم السيطرة والتحكم في كل شيء حولكم وليس العكس و لكي أُجيبك عن سؤالك سأرده لك بواحد.. إن أصبحت مفضالا أو كنت خناسًا ولا يعرفك أحد هل ستكون ذا تأثير عليهم أم ستكون شخصًا يعود شره وخيره عليه دونما يمس أحدا ؟

فأجابها "شرذم " ببلاهة ...

- أنا " شرذم "ملك شياطين الإنس والجن من ذا الذي لا يعرفني ؟

- هاهاها لا أحد يعرفك.. فأنت ما زلت شرذم شيطان إنسي مذموم يحاول أن يجمع كل خصال السوء فيه؛ عسى أن يهبط يومًا هبوطا يؤهله لبلوغ المكانة الأوطأ ويكون ملكاً لشياطيين الجن والانس.. وليس هذا موضوعنا يا شرذم فأنت سألت وأكثرت وأنا سأجيبك وأختصر.. أنا اخترت هذا المنافق بالذات كونه ذا مكانة اجتماعية عالية؛ تمكنه أن يكون قدوة حسنة لكل من حوله.. فعمره الذي تعدى الستين وتلك الملامح السموحة.. والصوت الرخيم بالإضافة إلى درجته العلمية العالية كل هذا يعطيه الأفضلية؛ ليكون مثالًا يحتذى به.. لذا سيكون تأثير النفاق غير مقتصرًا عليه فقط وإنما على قاعدة جماهيرية لكل من يعرفه أو حتى يسمع عنه.. فأن كنت تريد أن تخرب مجموعة فعليك بقائدها فقط.. كالجسد عندما يتعطل عقله؛ يتعطل كله .

وهكذا حصلت " جايا و شرذم " على خصلة النفاق من د. وهب الذي يشبه العديدين ممن يظهرون خلاف ما يبطنون، ولكن التأثير الأسوء لهم عندما يتوج المنافق ليكون مثالًا يحتذى به.

وبعد أن تبرعمت أفاع الشر من (القتل و البخل والنفاق) بدأت " جايا " بالبحث عن المزيد من خصال الشر والمعصية؛ لغرزها برأس شرذم المتعفن ليكتمل هيكل الشر لديه .

- والآن مهمتي الأصعب يا شرذم.. فعلي أن آتيك بخصلة يمتلكها الجميع تقريبًا ويغفل عن وجودها الجميع.. و لكن وجودها هو الأخطر والأفضل لنا فصاحبها سيكون جندي لنا دون أن يدرك ذلك.

تكلمت "جايا " الشريرة بنبرة خبث و مكر وهي تفكر بالشخص الذي سيقع عليه الاختيار.. حتى قطع عليها "شرذم " تفكيرها بسؤاله بفضولية

- وما تلك الخصلة التي إن امتلكتها صرت أقرب للشر المطلق ؟

- إنها حب الراحة

أجابت " جايا "

- ماذا ؟ ولكن الجميع يحب الراحة وأنا أولهم فكيف ستختارين وعلى أي أساس يا "جايا " ؟

عاود "شرذم " سؤالها

- على الأساس الذي يجعل الشخص الباحث عن الراحة هو الأقرب إلى حب الدنيا وملاذها واختيار الراحة فيها.

أجابته "جايا " وهي تعد نفسها للرحيل والبحث عن ضحيتها الجديدة.

" كهف الشؤم و كشف المستور "

- عادل.. أعتقد إن بطارية ضوء قبعتي قد نفذت هل تحمل واحدة احتياط ؟ سأل جلال أخيه عادل وهو يحاول تشغيل ضوء الرس الذي يلبسه وهو يضربه برفق عسى أن ترجع البطارية إلى مكانها إن لم تنفذ .

- لا يا عمي يستحيل أن تنفذ بطارية الضوء.. فأنا قد استبدلت القديمة بجديدة لثلاثتنا قبل أن نقوم بهذه الرحلة ولكني أعتقد أنها قد تحركت من مكانها بعد ذلك السقوط في هذه الحفرة اللعينة

أجاب باسل عمه عادل وهو ينفض الأتربة عن ملابسه و وجهه، كان عادل وأخيه جلال مختصان بعلم الآثار والتنقيب وقد قررا القيام برحلة في أحد الجبال النائية بعد أن اكتشفوا مغارة حددت سابقًا نهايتها، ولكن ما وجدوه بعد المزيد من الأبحاث والتحريات أن هناك شيئًا أكثر لم يكتشفه احداً بعد!

وبعد إصرار باسل على أبيه وعمه أن يسمحا له بمرافقتهما لأنه شغِف بالبحث و التنقيب حبا بعد أن تربى بين يدي متخصصين بعلم الآثار،أصبح الثلاثة على وشك القيام برحلة لن ينسوها.

كانت مغامرة مليئة بالإثارة خصوصًا بعدما تعمقوا بالبحث داخل تلك المغارة؛ فزلقت اقدامهم فجاءة بعد أن أوغلوا بحواف طينية لحفرة عميقة يصل عمقها إلى خمسة امتار فوقع ثلاثتهم في تلك الحفرة .

وبعد أن تفحصوا جدرانها جيدًا عثروا أسفل أحد جوانبها على تجويف ضيق يكفي أن يعبر منه شخصًا ولكن بصعوبة تامة، فبدأ باسل بحشر جسده في ذلك الجوف مغامرًا بحياته؛ لإشباع فضوله في معرفة ما يخفيه وراءه

وبعد أن استطاع إيلاج نصف جسده بدأً برجليه، شعر بوجود شيئًا ما يسقط على حذائه؛ فخرج بسرعة من ذلك الجوف وهو يصرخ خائفًا

-هناك أفعى أو ما شابه.. فأنا شعرت بشيء يمس قدمي

خرج باسل من هناك وهرع إليه عمه جلال؛ ليرى ما الأمر، فنظر جيدًا إلى حذائه فلم يجد شيئًا غريبًا غير بعض البلل؛ فمسحه بيده و قربه على أنفه ثم ضحك بصوت عال على إبن اخيه وهو يتكلم بتهكم .

- أجل هذه أفعى كبيرة قد بالت عليك ها ها ها

- حقًا يا عم ؟ وهل تبول الأفعى يا عم حقا ؟

سأله باسل ببلاهة

- وهل صدقت أن هناك أفعى كبيرة في هذا المكان البارد المعزول عن العالم؟

اجاب والده الذي كان جالسًا وهو ممسك الخريطة بيد والضوء بيده الآخرى وهو مبتسم من تفكير إبنه الطفولي على رغم عمره الكبير الذي تجاوز العشرين بسنتين.

- إنه مجرد ماء يا باسل

تكلم جلال بصوت متقطع وهو يضحك على باسل وخوفه الغير مبرر، فعم الهدوء لوهلة بالمكان قبل أن يصرخ الإثنان "جلال وعادل "

- ماء ... هناك ماء

- أجل أي أن هنالك منفذ للخروج من هذه الحفرة

أكمل عادل فطبق الخريطة و أدخلها إلى حقيبة ظهره على وجه السرعة، ثم فز وذهب إلى ذلك التجويف ومد يده؛ ليتحسس جدرانها الصخرية، وبالفعل وجد تشققات صغيرة في جدارها العلوي فنادى أخيه جلال ليأتيه بالضوء اليدوي كي يرى بصورة أوضح، وبعدها بثواني أخرج رأسه وتحدث إلى جلال.

- اخي اجلب إلي الفأس الصغير من الحقيبة تلك؛ فقد وجدت شقًا يكبر مجاوريه، فَعلّي أن ضربته يقع جزء صغير من ذلك الثقب ونستطيع الولوج فيه أكثر فهو أملنا الوحيد بالنجاة والخروج من هنا.

فبدأ عادل بالضرب برفق بادئًا على ذلك الشق، ولم يفت كثيرًا من الوقت حتى بدء الماء بالإنهمار أكثر من ذلك الثقب وزاد تدريجيًا حتى أصبح يجري بقوة وبصورة تشبه النافورة، فكما يبدو أن هناك ما يحصر خروجه و يعيق جريانه، بدأت الحفرة بالإمتلاء تدريجيًا بالماء حتى أصبح الوضع خطيرًا على حياتهم حينما وصل الماء إلى أعلى صدورهم، وبعد لحظات مرت طويلة عليهم الثلاثة كادوا أن يغرقوا فيها خرجت دفقة ماء كبيرة كأنها موج بحر هائج رفعهم إلى أعلى ثم أعادهم إلى تلك الحفرة بعد شفط الماء منها سريعًا.

جلس الثلاثة وهم يجرون نفسهم بصعوبة بالغة بعد أن غاصوا في الماء لفترة لا تقل عن الدقيقتين وهم ينظرون أحدهم إلى الأخر مستغربين ما جرى هنا ؟ وكيف حدث؟، وبعدها بقليل قام باسل ونظر من ذلك الجحر فوجد في نهايته فتحة كبيرة، فرفع ضوء اليد وسلطه على تلك الفتحة؛ فوجد مكانًا كبيرًا كأنه مغارة أخرى ولكنها أكبر وأوسع من هذه الأولى؛ فأسرع بأخبار والده وعمه ثم دفع نفسه بقوة نحو تلك الفتحة، فساد صمت مخيف أقلق جلال

وعادل حتى نادى باسل بأعلى صوته تعالوا إلى هنا فهذا المكان كبير واعتقد إني أجد نورًا ضئيلًا في نهايته.

عبر الأخوان بصعوبة بالغة عبر ذلك الجحر الصغير؛ ليفاجئوا بوجود مكانًا كأنه حجرة كبيرة فبدأوا بالبحث بين جدرانه؛ علهم يجدون ما كانوا يبحثون عنه من اكتشاف جديد يحي سيرتهم المهنية .

وهناك صرخ جلال وهو يقفز فرحًا ماسكًا فرشاته بيده ...

- انظر يا عادل لقد وجدت رسومات ونحت على الجدران بلغة غريبة لم أراها من قبل !

هرع عادل إليه وبدأ بقراءة تلك الحروف التي بدأت تتلاصف مع ضوء المصباح؛ فاستغرب عادل كثيرًا فهو لم يرى مثل هذا الشيء وخصوصًا تلك الحروف المكتوبة لم تمر عليه أبدا قبل هذا، فرجع الى الوراء قليلا كانه شعر بوجود شيئاً غريب في هذا الكهف، ثم التفت الى باسل وجلال وراح يبعد المصباح عن الجدار والكتابة التي نقشت عليه ، وكان يبدو عليه الحيرة و الرهبة.

فصرخ باسل خائفًا

- انظر يا أبي تلك الكتابة بدأت تضيء وتتحرك !

وفجاءة سمع الثلاثة صوتًا يتكلم بلغة غريبة كتلك اللغة التي يستعملونها في التميمة ،و بعدها صمت كل شيء، وبعد برهة صرخ ثلاثتهم بصوت عال عندما ظهرت أمامهم فجاءة إمرأة طويلة ونحيفة جدًا ترتدي ثيابًا سوداء وتغطي وجهها بقطعة قماش سوداء بالية، ممسكة بيدها القبيحة عصا طويلة

تنتهي بضوء أعلاها، أظافرها سوداء مخيفة وطويلة، ولها دم أسود يبرز من خلال جلد يديها وهو يمشي بدفق من خلال أوردتها البارزة.

كان منظرمروعًا لهم كأنها ميتة بعثت للحياة من جديد، فلم يستطيعوا أن ينبسوا ببنت شفة من هول هذا الكائن الذي يقف أمامهم، وفجاءة نطقت تلك المرأة بصوت يشبه صراخ المعذبين .

- ما الذي اتى بكم الى هنا ؟

سكت ثلاثتهم ولم يجب أحدا منهم؛ فالخوف قد الجم ألسنتهم، فكررت سؤالها بصوت حادٍ وقاس

فأجاب عادل وهو يرتعد

- لقد جئنا للكشف عما يحتويه هذا الكهف.. فنحن باحثون عن الآثار

- أسمع أنت وهو أنا لا أريد لكم سوى الشر والاذى، ولكني مجبرة أن أخبركم أن لا تفعلوا هذا مرة أخرى، أي أنكم عندما تجدون مغارة أو كهفًا مهجورًا لا تدخلوه في مكان بهذه الأرض لأجلنا ولأجلكم، فكل ما ستجدونه في أفواه الأرض كهوف و مغارات لن تنسوه أبدا، وأن نسيتموه فهذا يعني أنكم قد دخلتم عالمنا ولم تخرجوا منه، فحاذروا وتحاذروا فكل كائن من سكانها يريد شيئا منكم و سيأخذه .

ثم أكملت بصوتها المخيف ...

- سأعطيكم ما جئتم لأجله أنتم الثلاثة سأعطيكم الكنز، ولكن أريد كل واحد منكم أن يخبرني ماذا سيفعل بحصته ؟

وما أن أكملت كلامها حتى سلطت ضوء العصا المحمولة بيدها إلى صندوق صغير موضوعا جانبًا، وأمرت باسل أن يذهب إليه ويجلبه ليضعه أمامهم،

فركض باسل إلى الصندوق وحاول رفعه ولكنه كان ثقيل جدًا خلاف لما كان يوحي به حجمه؛ فحمله بتعسر حتى وضعه أمام أبيه وعمه

- والآن افتحه لترى ما بداخله

أمرته المرأة المخيفة

بعد أن كسر القفل بالفأس التي معه فتح ذلك الصندوق فإذا به يجد تماثيل ذهبية صغيرة كأنها آثار؛ فرفع عادل إحداها بيده وراح يتأملها ثم تمتم بصوت منخفض وهو يحدث أخاه جلال

- أليست هذه التماثيل هي ذاتها التي عثروا عليها عند أحد تجار الاثار ؟

- نعم ولكن اعتقد أنها تشبهها جدا وليست هي كأنما هي سلسلة لتماثيل على نفس الشكل، ولكن هناك اختلاف في الأحجار الكريمة المرصعة بها و ...
أجابه جلال بتلك الكلمات حتى قُطعت بصرخة مزعجة من تلك المرأة

- اصمتا أنتما الإثنان، هذه التماثيل أصبحت لكم ولكن أخبروني ماذا ستفعلون بها دون أن تكذبا علي فانا اعلم بالأساس سبب مجيئكما إلى هنا، ولكني أردت أن أسمعه منكم فإياكم وتضليلي فهذا عملي أنا.

أجاب جلال وهو يشعر بخوف تخالطه السعادة لحصوله على كنز كهذا

- أنا سأبيعه واشتري بثمنه منزلًا كبيرًا ويختا وسيارة فخمة وأعيش لبقية عمري مرتاحًا.

- ولكنك مسؤول عن هذه المقتنيات الثمينة وعليك تسليمها إلى المتحف فمكانها هناك أليس كذلك يا جلال ؟

سألته المرأة بمكر

- هذا صحيح ولكني عشت معدمًا طوال عمري والآن سنحت لي الفرصة أن أعيش عيشة الأغنياء، فما الضير في ذلك؟ خصوصًا أن لا قانون سيحاسبني على فعلتي فأنا لم أسرق من أحد، ولكني سرقت فرصة ذهبية متمثلة بتمثال ذهبي جاءني مجانًا.

فأطلق ضحكة كأنه جن من فرحته التي طغت حتى على خوفه من تلك المرأة وماهيتها

- وأنت يا باسل ماذا ستفعل بتمثالك ؟

كررت تلك المرأة السؤال على باسل

- حسنًا.. أنا لا أعلم.. فربما سنشترك أنا وأبي، ونفتح مشروعًا كبيرًا يدر لنا أرباحًا هائلة.. أليس كذلك يا ابي ؟

- ولكنهما تمثالان فقط فكيف ستقسم على ثلاثة ؟

سأل عادل موجهًا سؤاله للجميع من ضمنهم تلك المرأة التي أحس عادل بما تخفيه وراء جلب تمثالان إثنان وتلميحها المستمر بحصول كل واحد على تمثال، فكيف يكون ذلك وما تقصد من وراء تلك اللعبة؟ ومن هي بالأصل ؟

كل تلك التساؤلات دارت سريعًا بذهن عادل ولكنه لم يستطع أن يستشف شيئًا، فعلى ما يبدو أن تلك المرأة ماكرة جدًا وبهذا تستطيع الحصول على

ما تريده بالضبط، لذا تمهل قليلا للتفكير قبل أن يجيب على سؤالها المتوقع له ...

- وأنت يا عادل ماذا ستفعل بتمثالك ؟ وأنصحك أن لا تفكر كثيرًا لأنك ستتعب

كررت المرأة السؤال ذاته على عادل ولكن بصوت يحمل في نبرته كثيرًا من الخبث والتدليس

- أنا سأسلم التمثال الذي يخصني إلى هيئة إدراة المتاحف فهو لا يعنيني بشيء، ولكني أطمع أن يذكر اسمي بتأريخ اكتشاف الأثار وعندها سيكون لي مكانة خاصة، وسيذكر اسمي في كل محفل وربما يومًا ما سيمنحونني منصبًا مهما كوزير للأثار والتراث؛ لنزاهتي ومحافظتي على تراث البلد، وبهذا أكون قد أخليت مسؤوليتي وحصلت على مبتغاي وأكثر.

أجاب عادل متفاخرًا بإنصافه وضميره الحي وبعضًا من حيلة أضافها لتلك الحسنات

- ولكنك إن حصلت يوم على منصب أو مال جراء تسليمك لهذا التمثال لن يكون بجهدك فأنا من اعطاك إياه ولست انت من نقب عنه اليس كذلك يا عادل ؟

هكذا سالته تلك المرأة بدهاء

- هذا صحيح ولكن ما أحلاه من إحساس أن يأتيك شيئا دون أن تعاني و تتعب للحصول عليه! شعور رائع اليس كذلك ؟

أجاب عادل

- حسنًا .. والآن كيف سنتقاسم يا أبي ونحن ثلاثة ؟ وعمي يريد أحدهما ليبيعه.. وأنت تريد الآخر لتسلمه للمتحف.. وأنا على ماذا سأحصل ؟

سأل باسل بامتعاض بعدما سمع أبيه وما يخطط له.

لم يستطع أن يجيبه أحد، فظل كل واحد منهم صامت يغلبه تفكيره بأحلام أو ربما أوهام، وربما ما هو أسوء لا يعلمون به بعد.

وهناك استدارت المرأة وبدت بالإختفاء والتلاشي وهي تردد

- الآن انتهت مهمتي.. وتمتمت بصوت منخفض ولكني سأعود

فصاح جلال عليها ...

- نحن نشكرك ولكننا لم نعرف من أنت.. فما اسمك ؟

- جايا.. هذا هو اسمي فأحفظوه لأنكم لن تنسوه

خرجت "جايا " من ذلك المكان المظلم آخذة معها آخر ذرة للسلام والصفاء بينهم، لمح جلال نورًا بعيدًا بعد تلاشي ظلمة "جايا " فبدأ الثلاثة بحمل حقائبهم وعدتهم وحمل باسل الصندوق وعمه يساعده حتى وصلوا إلى ذلك النور الذي بدأ بالاتساع والوضوح، حتى بان لهم نفق ضيق ينتهي بذلك الضوء الذي يرشد إلى خارج هذه المغارة مع كل ما كانت تحمل من أسرار وعجائب

وبعد ان وصل ثلاثتهم إلى منزل عادل حمل جلال الصندوق وفتحة فرفع أحد التمثالين وقال

- هذا سيكون لي.. وأنتما الإثنان تقاسموا بذلك الآخر

غضب باسل ووقف مستنكرًا كلام عمه و هو يصرخ موجها كلامه نحو جلال

- هذا لا يجوز مطلقا يا عم فهذه قسمة ضيزى.. وأنا لن أوافق على ما فعلت مطلقًا فأرجع التمثال مكانه و لنتقاسم ثلاثتنا قسمة عادلة وإلا..

- وإلا ماذا.. تقتل عمك يا باسل ؟ وأنت يا جلال كيف يعميك طمعك وحبك للمال إلى هذا الحد..لا استطيع تصديق إنك جشع إلى هذا الحد ؟

صرخ عادل على الإثنين محاولًا السيطرة على الموقف قبل أن يؤذي أحدهما الآخر.

- إسمع يا عادل إننا أخوان شيء والمال شيئًا آخر

تحدث جلال بنبرة تهديد وهو يرفع يده نحو أخيه ويشير بسبابته إلى صدره

- أنا لا أفهم هل حقًا تتحدث أنت يا جلال هكذا.. لا أستطيع تصديق ما أسمع! التفت عادل مبتعدًا عن أخيه كأنه لا يريد أن يرى أخوه وهو بهذا الحال من الجشع وحب المال

- لا تلومني يا عادل فأنا أريد أن أعيش حياتي برفاهية.. كفاني ما عشته من عوز كل تلك السنين .. وسأريحك نعم أنا أحب المال ومستعد أن أضحي بكما من أجل نفسي ومالي.

اجابه جلال بكل تعنت

- كفى يا أخي أنا لا أريد أن أخسرك بسبب مال أو ما شابه، خذ تمثالك وأرحل من هنا.

تكلم عادل بعصبية عاقد حاجبيه على بعضهما بعد ما أثار جلال غضبه وأوصله إلى الحد الذي طرده من منزله.

- حسنا سأرحل آخذا معي حقي.. ولكن أريد أن أقول لك شيئًا قبل أن أرحل، لا تتوهم بصنع الرجل الصالح و تلبسه فلا يصلح لك يا أخي.. فلا تنسى أنت

أيضًا أردت ذلك التمثال؛ لتحقيق مآربك وأن كانت تختلف الوسيلة عندنا إلا أن غايتنا واحدة ألا وهي الراحة !

فأنا أريد أن أرتاح ماديًا واستثمر الأموال وجني المزيد ولكنك تريد أن تسلك الطريق الأسهل بدون مجهود وعمل؛ لتكون لنفسك منصبًا لا تستحقه أولًا ولتحقيق هدفك بالراحة والعلو تاليًا.

لم يدع جلال أخيه عادل يرد عليه بعدما إنهال عليه بتلك الكلمات، فأخذ تمثاله وخرج من ذلك الباب وعادل ينظر إليه بعينيه التي لم ترمش من شدة دهشته على ما قاله له أخيه الذي يكون ربما محقًا أو إن حبه للمال قد جعله يرمي بالتهم على كل من حوله.

فالمرء عندما يخطئ يحب أن يرى الجميع مخطئين مثله كي يبرر فعلته دومًا ويقنع نفسه بأن الأكثرية لها الغلبة دومًا حتى وأن كان الأغلب خطأ.

وبعد أن ترك جلال المنزل ظل باسل يلح على أبيه ويلومه عما فعله مع عمه، وكيفية السماح له بأخذ تمثال له وحده وهما الإثنين بتمثال واحد، وظل يتكلم وينخر دماغ أبيه و يعاتبه وهو يرى أن حقه قد أضاعه أبيه الذي لم ينبس ببنت شفة؛ فقد كان مشغولًا بالكلام الذي قاله عنه جلال أو ربما كان يفكر كيف لأخيه الأصغر منه أن يتحدث معه بهذه الطريقة ؟

وظل الحال هكذا قرابة الساعتين باسل يتململ من أبيه وعادل ملتزم الصمت و مشغول التفكير، حتى فاض صبر باسل وصرخ على أبيه

- والدي كيف سنتقاسم هذا التمثال هل تريد أن أبيعه ونتقاسم سعره.. أم نشتغل سويًا ونفتح متجرًا كبيرًا لبيع أجهزة الهاتف المحمول والحاسوب الحديث ؟ أو أي مشروع اخر.. ولكن ليس ما تفكر فيه في أخذ التمثال إلى المتحف كي يكرمونك بتعينك مديرًا للمتحف أو ما شابه، فأنا لن أرضى أبدأ.

وهنا آفاق عادل من غفلته وراح يفكر مليًا بكلام ابنه وخيارته التي تكون اما ببيع التمثال وقسمة المال بينهما بالتناصف أو العمل سويا، لم يكن عادل راضيًا عن العمل سواء مع ابنه أو لوحده، فهو يريد أن يستقيل من عمله لأجل تلك الساعات الجميلة التي يقضيها بالراحة والاستجمام، وتلك الساعات البغيضة التي يضطر فيها عادل بالنهوض باكرًا والخروج في الجو السيء البارد الممطر، أوالجوالحار والأبغض تلك الاوقات التي يضطر أن يستمع فيها لتعليمات وأوامر مديره وتنفيذ ما يقولونه حرفيًا، كان هذا الكابوس الذي يعيشه عادل دومًا متمنيا ان يتحقق الحلم ويترك كل ذلك وراءه بل سيكون هو الأمر الناهي والغير محتاج للجهد والأعمال الصغيرة الشاقة التي يكلف بها الموظفون الاقل مرتبة من غيرهم وكان عادل من تلك الفئة.

وبعد كل هذا فهم عادل أن لا مجال لتحقيق ما كان يحلم فيه، لذا قرر التكرم بالتمثال لابنه باسل متناسيًا تماما دوره كأب ناصح له وواجبه الأول الحفاظ على ابنه وسلامته من كل الآفات التي تأكل المجتمع خصوصا الشبان الصغار من ليس لديهم خبرة بالحياة بعد.

- خذ التمثال يا باسل فأنا سأتنازل عنه لك لأني لا أريد المال فأنا لست بحاجته، وسأرجع لوظيفتي التافهة التي قضيت عمري فيها والتي ستميتني وأنا منكب على مكتبها.

هكذا تحدث عادل بعد تفكير وتحليل طويل وخرج هو الآخر من المنزل تاركًا باسل يخطط عما سيفعله بذلك التمثال.

لم يمر وقت طويل حتى اشترى جلال لنفسه منزلًا كبيرًا مع حوض سباحة شتوي وصيفي، ومرجاٍ واسع ومرأب يحوي سيارتين فخمتين فاتصل به باسل فور سماعه لما حصل مع عمه

- عمي جلال كيف حالك أنا أريد مساعدة منك

- أهلا يا باسل.. خير لك أنك تذكرت أن لك عم، ولكن ما المساعدة التي تريدها مني؟ ان كانت مالًا فأنا لم أعد أملكه فقد اشتريت منزلًا وشاركت بما تبقى في أسهم البورصة ولم يعود لي المال بعد.

أجابه جلال متفاخرًا بمنزله وماله

- لا يا عمي أنا لا أريد مالك ولكني أريد أن تعلمني كيف أبيع تمثالي، فأنا لا أعرف عن هذا المجال شيئًا، وأخاف أن يضحكوا علي أن علموا أنني لا أعرف بالأثار شيئا.

- أها هكذا إذن أنت تريد أن أعرفك على التاجر الذي بعته تمثالي.. حسنا تعال إلى منزلي وسأعرفك عليه .

وبالفعل ذهب باسل إلى منزل عمه لأجل بيع التمثال الذي يخصه، اتفق الثلاثة على مبلغ معين و مكان يستلم فيه باسل ماله و يسلمه التمثال بعد

أسبوع، لم يمر يومين حتى عاود ذلك التاجر الإصال بباسل ...

- باسل أنا السيد "عماد" أريد أن أراك ولكن لا تجلب التمثال معك فأنا لدي عمل يهمك وسيربحك أكثر بكثير من بيع التمثال لحاله.

صمت باسل بادئا لآنه لم يكن يتوقع مالا أكثر من ذلك الذي حصل عليه عمه، وبدون تفكير وافق باسل واتفق الاثنان على اللقاء بعد غد للنقاش في في هذا الشيء الذي سيدر الملايين على باسل.

مرت الأيام وكان باسل قد اتفق بالفعل مع السيد عماد تاجر الآثار ولكنه اتفق معه أن يقوم هو نفسه بتهريبه إلى الخارج مستغلًا اسم والده وعمله في دائرة الآثار والتراث ومعارفه الكثيرين، وعرض عليه مبلغًا مضاعفًا عن ذلك الذي كان سيأخذه من بيع التمثال.

وبعد أُسبوع تهيأ باسل للسفر وراح يتحدث إلى ابيه ..

- والدي انا مسافر لمدة اسبوع وارجع.. وأكمل باسل حديثه لوالده شارحًا له كل ما حصل بالتفصيل من يوم اتصاله بعمه حتى ذلك الاتفاق بينه وبين السيد عماد.

رفض ابوه بادئا وحذره أن السيد عماد يريد أن يأخذ منه أكثر مما يعطيه وكان واثقا أن أمرًا عصيبًا سيحدث لباسل ولكنه اكتفى بتحذيره ولم يصر عليه أن لا يفعل ما هو مقدم عليه حتى لو استوجب الأمر أن يحبسه في المنزل؛ لحمايته والمحافظة عليه أو حتى أن يبلغ عن ذلك التاجر الشرطة لحماية ابنه الوحيد و ينهي كل تلك المصائب التي حلت عليهم منذ ذلك اليوم الذي وجدوا فيه الصندوق أو بالأحرى تلك المرأة الغريبة، تاركا أهم مسؤولية له في توجيه ابنه و وضعه على الطريق الصحيح حتى وأن بلغ

ابنه من العمر الخمسين سيظل الأب ناصحًا ومحافظًا على ولده، فهذه هي الفطرة التي فطر الله عليها البشر؛ لبقاء الوجود البشري .

ترك باسل أبيه الذي مسك كتابه بيده وبدأ بلبس نظارته للقراءة وهو يقول له ...

- أتمنى لك النجاح في مهمتك الخطيرة تلك ولكني واثق من فشلك ولكن هذا اختيارك وأنا أحترمه ولم أجبرك ولن أجبرك يومًا على فعل شيء لا تريده .

ولم تمر سوى ساعات حتى جاء اتصال من رقم مجهول ...

- أنت السيد عادل والد باسل.. يؤسفنا اخبارك أن ابنك وجد مقتولا على أحد الأرصفة قرب الميناء

هذا ما تحدث به ضابط الشرطة والذي كان يقوم بدوريته المعتادة قرب الميناء عندما وجد باسل غارق بدمائه.

وقعت تلك الكلمات كالصاعقة على رأس عادل وبدأ بضرب رأسه الذي بدأ يدور ويدور حتى وقع على بلاط الغرفة مغميًا عليه، حتى نفسه بدأ بالتثاقل وكأنما أراد أن ينقطع نهائيًا.

وأثناء غيابه عن الوعي رأى وعينيه مغمضتين امرأة تقف أمامه وهي تمسك برأس باسل وتلوح به وهي تحدثه و تضحك بصوت عال

- الم أخبرك سابقا أن من يريد منك شيئًا من عالمنا السفلي سيأخذه منك جبرًا أو تراضيا، وها هو رأس ابنك الطماع العنيد بيدي والآن جاء دورك أيها المبتلى بالعجز والكسل حتى من حماية ابنك ومنعه من ذبح نفسه ورميها

بين براثن الوحوش بحجة أنك لا تريد إرغامه على شيئا لا يريده وكأنك تتعامل مع شخص لا تمت إليه بصلة وليس جزءا منك، ولكني رغم هذا

فأنا أشكرك وليس هذا من حسن أخلاقي بل طمعا في نذالتك و تخاذلك في احقاق الحق وإصرارك عليه،والآن سأخذ خصلة من شعرك لأزين بها رأس ولدي فهو بحاجة لخذلان الحق و محاربته وكل هذا يأتي من حبك للراحة ..

وتفانيك في العجز.

جرت "جايا " خصلة كبيرة من رأس عادل وهو يتلوى بين يديها و يتوسلها أن ترحمه وتتركه لحاله ولكن لا تطلب الرحمة من الشيطان.

وقبل أن ترحل حاملة معها ما جاءت لأجله التفتت إلى عادل وهو ينوح ويبكي على حاله وحال ولده الفقيد

- صحيح لقد نسيت أن اخبرك أن أخاك جلال كان أفضل منك وأكثر خضوعًا واستسلم بسرعة لي عندما اقتلعت من رأسه الغبي خصلة حب الدنيا وتفضيل المال على الجميع من ضمنهم أخاه وحتى لو وصل الأمر إلى تضحيته بنفسه لأجل القروش لفعل.

****

" جيران العمر والموت "

والآن أخبرني يا "شرذم "ما الذي كنت تنوي فعله بتلك الطفلة الصغيرة عندما غلبتك وسوستك في تملكها بعد أن دخلت الى مكانك ؟

سالت "جايا " ابنها "شرذم" وهي تركز نظرها الحاد إلى عيناه المتقرحتان والدماء والمذي يسيلان منهما

- أول شيئا خطر ببالي هو أن ألتهم يديها الصغيرتين، ثم انقض إلى رقبتها لنهش لقمة كبيرة منها، وبعدها سأقلع أحدى ساقيها الجميلتين للعقها ومن ثم قضمها رويدًا رويدًا؛ كي اشعر بكل جزء منها يتخلل جسدي المتعفن والمشتاق ل ...

سكت "شرذم" كأنه أراد أن يحتفظ ببعض من غرائزه الحيوانية لنفسه.

- أكمل يا "شرذم " فأنا أعلم بالضبط ما كنت تريده من تلك الفتاة الصغيرة الجميلة، فأنا كنت أرى نظراتك إليها، لم تريد التهامها لأنك خاوي المعدة بل كنت تريد التهامها للإشباع شهواتك الحيوانية، لذا انتظرت لبرهة قبل أن أكشف عن وجهي الحقيقي أمامك لأرى إلى ماذا كانت ستؤول رغبتك؟ أفي إشباع بطنك الجائع ؟ ام إشباع غرائزك ؟ وعندما وجدت عقلك متوجهًا إلى الأكل والنهم أظهرت لك وجهي الحقيقي قبل أن تغرز أسنانك الطويلة في رقبتي، فانت شره يتوقف عقلك عندما تجوع .. ثم ابتسمت بغلول وأكملت حديثها

- لذا وجدت أن آتيك بما ينقصك كي تكون أهلا لتصبح ملك الشياطين وهي خصلة تفقد صاحبها عقله في معظم الأحيان ، و أن أفاق ندم وحزن و عندئذ لن يعود ما فقد من الاثنين .

- أيتها الماكرة ما الذي تقصدينه أنا لا أفهمك ولا أريد فهم ماذا يخطط رأسك الخرف هذا، كل ما أريده هى القوة الكاملة للسيطرة على الشر والظلام ولا يهمني ما الذي سأفقده أوما سأكون ما دمت سأصبح ملك المعاصي والضلال.

أجاب "شرذم" أمه بتلك الكلمات الدنيئة التي تفصح عن مكنونات قذرة لهذا المخلوق فهو مستعد أن يفعل أي شيء لأجل الوصول الى مأربه الدنيئة !

****

بعيدًا في أحد بقاع الأرض كان هناك عبق يحمل من العراقة والأصالة الكثير تفوح من أرجاء الحي العتيق الذي يسكنه معظم الأهالي الذين توارثوا مساكنهم من آبائهم وأجدادهم، فلم يترك ذلك التراث إلا القلائل الذين كانوا يبحثون عن العمل في مكان آخر أو الذي فضل الحديث على التليد.

كانت هنالك بناية لا تحوي إلا ثلاثة شقق فوق بعض، يسكن في الطابق الأول عاطف وأمه العجوز، وفي الطابق الثالث يسكنه عائلة أبو مريم يتوسطهما في الطابق الثاني بيت أبو رياض، كانت عائلتا أبو مريم وأبو رياض جيران العمر ورفقاء درب وسكن و أمان لبعضهم البعض، وفي يوم مصبح جميل ملأت أشعة الشمس أركان ذلك الحي؛ لتبشر بيوم جديد وأمل جديد، نادت والدة رياض ابنتها سماح لتستعجلها الخروج بعد أن فتحت الباب لتجد صديقتها مريم واقفة تنتظرها للذهاب سويًا إلى المدرسة

- صباح الخير يا سماح كيف درست البارحة؟ أنا لست مستعدة للإمتحان فلم استطع أن أفهم الصفحتان الأخيرتان مطلقا !

سلمت مريم على جارتها وزميلة الدراسة سماح بعد ان خرجت من الشقة

وشدت الباب ورائها؛ لتستعدا للذهاب إلى المدرسة الثانوية التي تقع على بعد

شارعين من بنايتهما.

كانت الصديقتان بعمر متقارب و في الصف وكرسي الدراسة ذاته، حتى كانت جل آمالهما الإلتحاق سويا إلى كلية الطب البشري لتبقيان معا في الجامعة وحتى بعد التخرج ، هذا ما كان يدفعهما دوما للدراسة والمواظبة كي لا تفرقهما الأيام يومًا.

وفي ذلك اليوم الذي كان حافلًا بالدراسة والواجبات اقترحت سماح على صديقتها مريم أن ترجع معها بعد أن تأخذ الإذن من والدتها والبقاء عندهم حتى الإنتهاء من كل واجباتهم المدرسية، وهو امر اعتادت الصديقتان فعله لقرب سكنهما وعلاقة الأسرتين الوطيدة.

- سماح تعالي إلى المطبخ وخذي الغداء لك ولمريم

نادت أم رياض على ابنتها بعد إن انتهت من إعداد وجبة الغداء، تأففت سماح لدى سماعها نداء أمها عليها ورفعت رأسها من ذلك الكتاب الذي صبت كل تركيزها عليه كي تفهم ما يحتويه وتحفظه.

- مستحيل لقد نادتني أمي وكل كلمة في دماغي مع صياحها طارت

ضحكت مريم لظرافة سماح ثم أجابتها بصوتها الرقيق

- إذهبي يا سماح وأسرعي بالغداء فقد بدأت معدتي بالتحدث والنقر على بطني الجائع فور شمي لرائحة طبخ خالتي أم رياض

ضحكت الصديقتان وتناولتا طعامهما بشهية ثم أكملتا دراستهما حتى حلول الليل، فخرجت مريم مودعة سماح وهي تتوعدها بتلك الكلمات

- أن لم تحصلي على علامة مرتفعة كالتي سأحصل عليها سأخنقك فقد أتعبتني جدا حتى حفظتي مادة امتحان غد هاهاها

- حاضر يا معلمتي سأكون عند حسن ظنك

أجابتها سماح وهي تضحك رافعة يدها نحو رأسها كما الجندي الذي أمره الضابط توا.

قلب التقويم صفحاته بخفة؛ لينذر باقتراب موعد الإمتحانات النهائية، لذا كانت الصديقتان في حالة تأهب دائم لمواجهة قاعة الإمتحان والظفر بمعدل نهائي عال يجعل تحقيق حلمهما وشيكا، وفي أحد الأيام دخلت سماح إلى منزلها وهي تصرخ فرحًا وابتهاجا بحصولها على درجة كاملة في إمتحان اليوم، هنأتها أمها وفرحت كثيرًا عند سماعها بنجاح ابنتها وحصولها على درجة كاملة ولكنها لم تنس صديقة العمر وراحت تسال عنها

- ومريم هل حصلت على درجة عالية مثلك يا سماح

- بالتأكيد يا أمي فأنا وهي كنا الأوائل على مدرستنا، لذا ارجوك يا أمي اسمحي لنا أنا ومريم بالخروج اليوم فقد تعبنا من الدراسة والإمتحانات ونحتاج بعضًا من الراحة والترفيه، ففي الأسبوع القادم ستبدأ دورة جديدة من الإختبارات

وكي تضمن حصول الموافقة أردفت قائلة ...

- وليرافقنا رياض إلى المكان الذي سنقصده ويرجع لأخذنا كي تطمئني أكثر ثم تمتمت بداخلها إن وافق أخي العنيد

وبعد جولة توسلات وفيض من الوعود التي قامت بها سماح وافق رياض أخيرا علي الخروج لتوصيلهن فهو لم يكن من النوع الذي يهوى رفقة البنات فقد عرف عنه أنه خجول بطبعه .

وعند الموعد الذي اتفقتا عليه مسبقا نزلت سماح ورياض إلى الشارع بانتظار مريم أن تنزل بعد أن اتصلت عليها سماح لتستعجلها النزول.

فتحت الباب الخارجية للبناية فطلت مريم بحسنها الآخاذ كأنها سرقت من لون الشمس الأصفر المتوهج بعضا لعينيها الكبيرتين والبعض الآخر رمته على خصل شعرها الشقراء الطويلة؛ فبدت كأنها هي الشمس بنور عينيها و إشراقتها، ساعدها بذلك فستانها ذا اللون الأصفر الذي اختارته بعناية ليناسب لون عينيها وشعرها الأشقر.

خُطف قلب رياض فور رؤيته لكل هذا الجمال والبهاء حتى كادت أنفاسه أن تنقطع؛ لشدة توتره وخجله، فحاول أن يواري تلك النظرات التي تسرق مئات التفاصيل بلمحة .

- مرحبا يا رياض كيف حالك؟

سلمت مريم بصوتها الدافئ على رياض الذي اشتعل خديه احمرار عند سماع صوتها الملائكي

- انا بخير الحمد لله

أجاب رياض بصوت متقطع وهو يحاول أن يبدأ بالمشي كي لا تفتضح نظراته إليها

- اللعنة لقد نسيت البخاخ خاصتي في البيت فكيف سأتنفس ان هاجمتني نوبة الربو ؟ سأصعد لإحضاره.

تحدثت سماح بصوت عال عند تذكرها للبخاخ الذي لا تستطيع الاستغناء عنه مطلقا بسبب مرضها الشديد بالربو .

فقاطعها رياض فورا...

- لا يا سماح أنا سأصعد لجلبه لك ..أبقي أنت مع صديقتك

صعد رياض فخرجت أنفاسه براحة بعد أن كان يحبسها وهو بقرب مريم، دخل غرفة سماح للبحث عن البخاخ حتى وجده ونزل مسرعا، ظل رياض طوال الطريق يسترق النظر من مريم التي لم تنتبه لشيء أبدًا؛ لأنها اعتادت على رياض وعائلته و وجودهم جنبهم دوما.

حتى رياض هو الأخر لم تعني له مريم يوما شيء! ولكن يبدو فيما رآه من جمال وأنوثة في لحظة ضعف سلبت منه فؤاده الذي بات يفكر بمريم مرارا .

فمرت الأيام و بقى مع رياض ذلك الهاجس الذي لم يرتح منه الا بحضور مريم عندهم، فكان في كل مرة يعلم فيها أن مريم ستاتي عند أخته يظل واقفا قرب الباب ينتظر وصولها ولكنه لم يتجرأ مرة أن يفتح الباب لها بل كان يكتفي باختلاس النظر من بابه الذي يبقي جزء منه مفتوحًا؛ ليراقب مريم عند دخولها وخروجها .

ولكن المربك في الأمر لم يكن رياض يظهر أي من تلك المشاعر أمام أخته ولا حتى بسؤاله عرضيا عن أ حوال مريم أو طباعها أو أي شيئا يتعلق بها كما يفعل أي عاشق؛ فربما لم يكن عاشقًا البتة بل كان تفكيره الذكوري قد غلبه وجعله كالأسير خلف تلك الأنثى أو أي واحدة جميلة غيرها، فهذا الأمر يصبح خطير على الفتاة والشاب عندما لا يفكر أحدهما أو كلاهما بقلبه قبل أن يفكر بغرائزه وكيفية إشباعها، فالذي يعشق يستحيل عليه أن يؤذي من يحبه لا بكلمة ولا بفعل، لأن العاشق يكون قويًا بحبه ولا يضعف أمام شهوته ولا حتى بلحظات الضعف تلك التي يتحججون بها ! فيظل كالملاك الحارس لحبيبه، حتى وأن اضطره الأمر يوما إلى التسليم بالنصيب والقدر و زف حبيبه إلى من يهواه وليس ما يهواه، لأن جل من الحبيب رضى وسعادة محبوبه حتى لو عنا ذلك موته وهو على قيد التنفس!

فهناك فرق كبير بين كلمة حب وكلمة شهوة فهما كالخطيين المتوازيين اللذين لا يلتقيان مطلقا إلا في حالة واحدة، وهي أن لا يخلف اجتماعهما ضررًا انيا أو لاحقا على كليهما، ولكن رغم كل غرائز رياض الملتهبة ظل يحارب نفسه ورغبته، فلم يشأ يوما أذية تلك العائلة وهذه البنت التي استأمنها أهلها لدى من كانوا يعتبرونها ابنتهم الثانية، لأنه كان يعلم يقينا أن خيانة الأمانة صعبة جدا حتى ولو باستراق نظرة من خلف الباب.

رياض شابا مستقيما يخاف من الخطأ ويجتنبه حتى في الجامعة، كان لا يختلط ببنات صفه كي لا يقع بالخطأ يوما، ظل يحارب نفسه طوال سنين

ولكن ما فاته هو فعل الصواب لا يعني بالمطلق اجتناب الخطأ بل مواجهته والبحث في أسبابه وعلاجها بأسلم الطرق، بل يوجب عليه أن يحارب

المخطئ فكريا ورسم الطريق الصحيح له كي تكون حجة على الاثنان، وهذا ما يسمى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس اعتزال من حوله لتجنب اخطائهم أو الخطأ معهم، وهذه هي الغاية من خلق الانسان أن يكون اجتماعيا؛ كي يبقى الجنس البشري قائما باختلاطه مع الجنس الآخر ولكن بالتأكيد ضمن شروط وحدود توضع دينيا واجتماعيا وفي الغالب يكونان ضمن مرمى واحد.

تنامى هذا الشعور والتفكير اللا أخلاقي عند رياض يوما بعد يوم حتى رست بقايا الشر والأذى في رأسه بعد أن خطط مسبقًا لما ينوي فعله .

وذات يوم رن الهاتف فخرجت سماح من غرفتها وهي تتسابق لرفع سماعة الهاتف، ورياض جالس يتفرج عليها باستغراب ففهم أنها كانت تنتظر تلك المكالمة فأجابت سماح على الهاتف بلهفة ..

- أهلا مريم لقد انهيت للتو درس العلوم، تستطيعين الآن القدوم لدراسة الرياضيات

فز رياض من مكانه ودخل غرفته نظرت إليه سماح متعجبة، ثم فسرته بخجله المعتاد، ولم تمر إلا دقائق حتى خرج رياض من غرفته مسرعا وتوجه نحو باب الشقة و خرج بسرعة ثم أغلق الباب بقوة ورائه، لم تفهم سماح سبب استعجاله أو ارتباكه، ثم قطع تفكيرها جرس الباب أسرعت سماح لفتح الباب لمريم ودخلتا مباشرة إلى غرفة سماح، ولم تمض نصف ساعة حتى أنبلق باب غرفة سماح ...

- أمي ما الأمر لما لبستِ ملابس الخروج هل أنت خارجة ؟

سالت سماح والدتها فور التفاتها ورؤيتها واقفة على الباب وملامح الحيرة تملأ وجهها

- لا أعلم يا سماح ولكني سأذهب إلى بيت خالتك أم حسن فقد وردتني رسالة تقول أنها بالمستشفى، حاولت الاتصال بها مرارا ولكن يبدو أن جوالي قد نفذ رصيده ! ثم اكملت حديثها موصية ابنتها سماح

- يا ابنتي أن عاد والدك قبل ان أعود فحضري العشاء له .

- حسنا يا أمي ولكن أبي لن يعود قبل ثلاث ساعات على الأقل

أجابتها سماح

- على كل حال سدي مكاني عند خروجي فأنا لا أعلم كم سألبث خارجًا هل تفهمين يا ابنتي.

خرجت أم رياض مسرعة وبعد أقل من عشرة دقائق سمعت سماح صوت الباب الخارجي وهو يفتح؛ ففزت من مكانها لترى من القادم، فتحت باب غرفتها ورأت رياض الذي أشار عليها بيده مناديا إياها، لم تفهم سماح بادئًا ماذا يريد، فدخل غرفته ودخلت ورائه تستفسر منه ماذا يريد ؟

-أغلقي الباب ورائك وتعالي اجلسي على هذا الكرسي

تحدث رياض إلى أخته مشيرا إلى كرسيه وقد وسطه الغرفة، تعجبت سماح كثيرًا لما سمعته ولكنها نفذت كلامه وجلست على الكرسي، وبعدها بثوان أخرج رياض حبلًا من خزانته وراح يلف بها يد سماح التي كانت تنظر إلى أخيها بكل دهشة فاغرة فاهها مستغربة جدًا

- أخي ما الذي تفعله ؟ أتظن هذا وقتا مناسبا للمزاح ؟ فمريم تنتظرني في غرفتي فلا يصح أن أتأخر عليها، هيا أخي فك يدي لأذهب هيا بسرعة.

ولكن رياض لم يكن يستمع اطلاقا لما قالته أخته، كأنه قد صم على أُذنه فكل ما كان يفكر به شيئًا واحدًا ... مريم.

استمر رياض بربط أخته التي بدأت تقاوم الحبل الملفوف حولها بإحكام وهي تحدث أخاها بنبرة حادة بعدما أحست بوجود خطب ما.

- رياض إرجع إلى صوابك ولا تجن، فك قيدي بسرعة قبل أن ابدأ بالصراخ

لم تكمل سماح كلماتها حتى انقطعت بعدما وضع رياض لاصق على فمها لإسكاتها!

خرج مسرعًا من غرفته وأغلق الباب ورائه ثم توجه نحو الباب الخارجي وأحكم إغلاقه، ثم توجه إلى غرفة سماح وفتح الباب عنوة على مريم التي نظرت إليه مرتعبة بعد أن رات نظرة الشر والشره بعينيه؛ ففزت من مكانها و سألته عن سماح وهي تتوجه نحو الباب لتخرج من الغرفة، ولكن رياض كان يقف أمام الباب لغلقه هو الآخر، و رمى المفتاح في جيبه ثم استدار نحو مريم وهو يقترب عليها رويداً ثم بدأت عيناه بافتراسها قبل ان يبدأ هو، حتى انقض عليها متناسيًا كل تلك الأيام التي جمعت العائلتين سويا كالإخوان بعضهم يثق ببعض، ومريم المسكينة لم تكن تعلم ماذا تفعل فبدأت بالهروب منه في أرجاء الغرفة وضربه بأي شيء يقع في يدها، ورياض يحاول النيل منها دون أن يكترث بأي شيئ من صراخها وتوسلاتها وحتى ضربه بمختلف الأشياء وآخرهن كابسة الورق المعدنية جاءت بيد مريم فرمتها مباشرة على وجهه حتى اصاب خده وبدا الدم بالخروج.

كانت سماح في غرفة رياض تحاول فك قيدها ولكن دون جدوى، بدت كالمجنونة عندما سمعت صراخ مريم واستنجادها باي أحد لكي يخلصها من براثن ذلك الكلب المسعور، ولا من مجيب، حاولت سماح بكل ما أوتيت من قوة ولكن لم تستطع حتى فك يدها، وبدأ الذعر والتوتر يخنق أنفاسها التي كانت تلفظها بصعوبة وما زاد الامر سوءا هو وجود اللاصق على فمها، فبدأت تشخر والأنفاس بدأت بالتلاشي تدريجيا وعيناها تغلقان وتحاول فتحهما بجهد وهي تقول

- البخاخ يا اخي ... أريد البخاخ سأموت !

وبعدما فعل رياض فعلته الدنيئة بمريم أفاق من غيبته ونظر إلى يديه فوجدها ملطخة بالدماء التي لم يعلم مصدرها أهي من الجرح الذي بوجهه؟!

أم من...

وجه نظره بسرعة نحو مريم وبدأ بالابتعاد عنها وهو خائف مرتعد، ومريم المسكينة تحاول تغطية نفسها بملابسها الممزقة و أنهر الدموع تفيض من عينيها وهي مصدومة ومرتعبة حتى لفت نفسها بالشرشف و بدأت بالعويل و هي تنود في مكانها كأنها قد جنت .

خرج رياض مسرعًا من غرفة أخته وتوجه نحو غرفته فلم يجد إلا الأمر والأشقى ، فقد وجد أخته مرمية على الأرض هي والكرسي الذي ربطها به فركض نحوها لتعديلها وفك اللاصق عن فمها ولكنه قد جاء متأخرا جدا فقد فارقت سماح الحياة بعد أن تصارعت مع نوبة الربو دون أن ينجدها أخيها الذي كان مشغولاً بإشباع شهوته من النساء.

انهار رياض ووقع أرضا وهو ممسك بقدم أخته و يتوسلها أن تعود لحضنه أن تعود ضحكاتها وشقاوتها التي ملات البيت سعادة ، فبدء بالعويل والصراخ وهو يضرب على رأسه بعد كل تلك الأفكار الشيطانية التي راودته، وأضاعت كل شيء منه وأولها أخته المسكينة التي لم يكن لها ذنب بأي شيء مثلها مثل مريم، تلك الفتاة التي كان أكبر ذنبها أنها بدت جميلة بعين وحش لا يصح حتى أن نطلق عليه لقب حيوان، فحتى الحيوانات تفتك بفرائسها لغرض البقاء وإشباع بطونهم الجائعة، أما الوحوش فتفتك بسبب تلك الغرائز التي تسيطر على عقولهم وتجعلهم مخلوقات لا يستحق حتى أن يطلق عليه بشرًا أو حيوان!

- وهذه يا " شرذم " قصة الإنسان الذي غلبه تفكيره الشيطاني عندما غلبته شهوته وغرائزه ولم يحاول حتى أن يحاربها بالبحث على طريق الصواب وإجبار وضع نفسه فيه وإلا ستكون النتائج كارثية لا ترحم، سأطير الآن إلى ذلك المدعو رياض؛ لجلب الخصلة الأسوء والتي ذلت ملوك و قتلت أنفس وأبكت عيون وغيرت في التاريخ ما غيرت حتى أقامت حروبًا شعواء؛ لأجل إشباع تلك الرغبة المقيتة للصالحين والمحببة لنا نحن الشياطين في الانس والجن على حد سواء.

تحدثت "جايا " بفخر وسرور؛ فهي تكاد أن تحصل على خصلة الشهوة التي لا يصح اطلاق لقب شيطان دونها وبعد أن أحضرت " جايا " تلك الخصلة من شعر رياض وغرزتها كما فعلت سابقا في رأس" شرذم " الكريه جلست أمامه تحدثه عن آخر خصال السوء وأهمها للشياطين فلا يوجد شيطان لم يتصف بها ، لا بل هي من أهم سماته فهو ما عرف عنه أن يمن اتباعه بحصولهم على كل ما يطلبون ويتمنون، وما أن يقعون في

فخه حتى يتركهم ويمضي وهو يضحك عليهم، فالكذب هو ما يميز الشياطين من الإنس والجن عن الصالحين الذين لا يصدقون سوى الحق وقوله ..

- اسمع يا "شرذم" لقد وجدنا على طول الزمان كثيرًا من أصناف الكذب وتنوع أسبابها ومواضعها حتى ظننا أن الرضيع سيكذب يوما ما، وأول نطقه سيكون كذبا، فلا ممسك لبني البشر في الكذب سوى تمسكهم اخلاقيا ودينيا بترك هذه الخصلة المذمومة كما يصفونها.

لذا ظلت " جايا " تقص على "شرذم" أنواعا للكذب كي يتخرج تلميذا مجتهدا على يد أشر الناس وأبغضهم

ولكنها هذه المرة لم تخطيء ففعلا تنوع الكذب و توسعت أساليبه وأسبابه حتى أصبح روتين يومي للبعض، وأصبح من أهم متطلبات معيشتهم وبقائهم ولكن يظل حبل الكذب قصير كما يقال، فقد سمعنا عن بائع يروج عن بضاعته يرش عليها بعضًا من بهار الكذب والتزويق؛ لكي يسهل بيعها وتمريرها، ووجدنا شابا يكذب على فتاة ويدعي أنه يحبها ولا يستطيع العيش دونها للحظة، وبعد أن تطلب منه أن يأتي لخطبتها يتلاشى من أمامها وفجاءة تصبح قصة حبهم مجرد ذكرى، وسياسيا يكذب عندما يقف أمام الجمهور فيلقي عليهم كذبًا لم يحلموا به يومًا بجعل كل فردا منهم يعيش عيشة الملك ووطنه سيكون على قائمة الدول المتقدمة، بل سيحسد الكل ذلك المواطن لوجود هذا السياسي المنصف في الحكم وكل ما ذكر ما هو إلا وعود كاذبة

حتى صارت وعود السياسي صنفًا مستقلًا عن بقية الوعود الكاذب؛ة لشدة المبالغة فيه و بعدها البعيد جدا عن تحقيق ما وعدهم به !

وفي كل شلة شباب أو بنات هناك من يكذب على البقية ؛لإيهامهم بأمور يود ذلك الكاذب أن يصدقونها عنه، كغناه أو دهائه أو بطولاته وشجاعته المنقطعة النظير حين الشجار مع عشرة شباب وقف أمامهم لأجل الدفاع عن فتاة كانوا يرمون لها كلام غير مناسب،

فكل كاذب من هؤلاء وغيرهم كان له سبب يدفعه للكذب، ولكن الأغرب من كل ذلك هو الكذاب الذي يكذب لأجل الكذب!

وهذا النوع أسوأهم لأن لا حدود لكذبه ولا فائدة ترجى يومًا من كذبه لا للكاذب ولا للمكذوب عليه وإن كان الكذب لا نفع فيه بالإجمال، ولكن لنفترض الفائدة منه ففي هذا النوع الغريب لا نجدها بالمطلق !

وهذا بالضبط ما كانت الشيطانة " جايا " تبحث عنه، فهذا الكذب يكمن في داخل النفس لا يتخلص منه حامله مالم تخرج روحه من جسده.

****

" جزيرة الجنون "

- نعم يا أصحابي فكما قلت لكم عن تلك الجزيرة وكل ما دار عنها من أكاذيب وخرافات حول سكن الجن فيها لا صحة له ابدا!

فجدي كان يحدثنا عنها دوما وعن مغامراته في المياه التي تحيطها، فهي تنبع الأسماك الكبيرة فيها كالنبع الجاري، وقد وجد جدي ذات يوم لؤلؤة تزن نصف كيلو عندما كان يتمشى على ساحل تلك الجزيرة الخلابة ، فلفت نظره بريق آخاذ يخطف الأنفاس، ودون شعور منه وجد نفسه أمام تلك المحارة الكبيرة كأنها سحبته إليها للفوز بما تخبئه في بواطنها، ولكن جدي أبى أن يقتل تلك المحارة ويأخذ اللؤلؤة؛ و لرد جميلها في السماح له برؤية مثل تلك اللؤلؤة الكبيرة، تركها ومشى مبتعدا عنها وهو يودعها ويوعدها بلقائها هنا في ذات المكان عندما يأتي للصيد في الأسبوع القادم، ولكن المسكين لم يستطع أن يفي بوعده لها فقد سبقته منيته قبل لقُى تلك المحارة العجيبة.. رحمك الله يا جدي .

تلك القصة التي قصها وائل على أصدقائه عندما كانوا مجتمعين حول موقد للنار أقاموه للتدفئة بعد نهار سباحة طويل في أحد سواحل جزيرة (انجوان) وهي مكان خلاب يعد من أجمل المناطق السياحية و تتوزع حولها جزر صغيرة تحتل حيزًا كبيرًا منها بعضها كان مأهولا وبعضها لصغر حجمها او لفقر مواردها أصبحت مهجورة ،و جزيرة (الجنون) التي كان يتحدث عنها وائل إحداها سميت بهذا الاسم الغريب؛ لاعتقاد السكان بوجود الجن فيها منذ قديم الزمان لذا لم يجرؤ أي أحد من الصيادين أو السياح بالذهاب إليها واستكشاف ما تحويه من حقائق أو أكاذيب حيكت عنها قديمًا، إلا جد وائل كما ادعى، وأنه كان دائم الذهاب إلى هناك للإصطياد أو ما شابه

فبدأ بقص تلك الحكاية على أصحابه بعدما سألوا عن سر تلك الجزيرة المبهمة، فبادر وائل بالإجابة فورًا وبكل ثقة بقص حكايات جده عليهم بصوت وإيماءات مذهلة تجعل السامع يصدق لدرجة أنه هو ذاته من كان هناك وليس جده!

- حسنا يا شباب لقد غلبني النعاس فلنكمل حديثنا غدا ونقرر بعدها إن كنا سنذهب ألى هناك أم لا، هيا يا نيفين فلنخلد للنوم فغدا أمامنا يوم حافل

هكذا تحدث جلال إلى زوجته نيفين مودعًا بقية الشلة واستأذنهم للرحيل

- حسنًا يا صديقي نحن أيضا قد تعبنا ونريد أن تطال أرجلنا المتشنجة بعضا من الراحة

أجابه رؤوف وهو يمط بيديه ورجله للدلالة على ارهاقه و شعوره المفاجئ بالنعاس ثم أشار إلى أخته ريهام

- هيا يا ريهام أنتِ أيضا قومي وخذي لك قسطا من الراحة

- حسنًا يا أخي سأتبعك فقط أمهلني بضعة دقائق؛ لألملم حاجياتنا وانظف هذا المكان الذي اكتظ بعلب المشروبات الغازية وأواني الطعام البلاستيكية وقشور الفواكه التي رمت هنا وهناك

أجابته ريهام وقد وقفت للبدء بلملمة النفايات؛ لتستعد للذهاب مع رؤوف

- لا يهم يا ريهام إذهبي مع أخيك وأنا وخالد سنقوم بالتنظيف قبل أن نخلد إلى النوم فما يزال مامنا وقت طويل للإستمتاع بصوت البحر وامواجه الهادئة التي تهب مستمعيها مزيدا من الراحة والاسترخاء

هذا ما قاله وائل لريهام

- معك حق يا وائل ولكن لا تنسى أن تلك الأمواج التي رحت تتغزل بها وبجمال هدؤها تكون قاتلة عندما يغضب البحر، فتكون تلك الأمواج اذرعه التي تسلب الحياة من الصيادين، وتبتلع قواربهم حتى أنها تتجاوز على بيوتهم وتغرقها .

أجابه خالد بصوت أجش حزين وهو يتمشى نحو البحر بهدوء بعدما رحل جلال مع زوجته نيفين تبعهما رؤوف وأخته ريهام .

ظل خالد ووائل يتحدثان كان الاثنان صديقان مقربان من بعضهما أكثر من البقية؛ لأنهما قد نشأ وهما قريبين عن بعض بحكم سكن عائلتيهما جنبا إلى جنب منذ زمن طويل في الشارع ذاته، وبحكم علاقتهما المتينة تلك طرح خالد سؤالا على وائل وهو مبتسم مبرزا أسنانه ليرسم ضحكة عريضة مصطنعة..

- أصدقني القول يا وائل ولو إنك لم تصدق يوما ! ولكن اليوم اجعله للتغير واخبرني هل أنت معجب بريهام ؟

- لا.. ولما تسأل يا خالد؟

اجاب وائل باستغراب فلم يجد مبررا لسؤال مثل هذا

- لأنك اليوم أحببت أن تبرز عضلاتك أمامهم ورحت تتشدق بالحديث عن جدك وبطولاته !

أجاب خالد وهو لا يزال يرسم تلك الابتسامة المزيفة

- حسنا.. لو كنت معجبا بريهام كما تدعي لما تفاخرت بجدي ولكنت أنا أولى بالتبجح والغرور أمام فتاتي أليس كذلك أيها الغبي ؟

اجابه وائل بثقة وهو مستهزئ بأفكار صاحبه الغريبة والغبية على حد قوله

سكت خالد وجمدت البسمة على وجهه فقد وجد في كلام وائل كثيرًا من المنطقية التي لم يجدها في استنتاجه الخاطئ، ولكنه بادره بسؤال يعد الأغرب في كل هذا الحديث..

- عجبت لك ولأمرك إن لم تريد أن تتفاخر بنفسك ما الذي جعلك تكذب وتحيك كل تلك الحكايات عن جدك الذي مات قبل أن ترى النور أنت؟ وعن تلك الجزيرة الغامضة إن لم يكن لك مصلحة بكل هذا ؟

- الآن أصبحت تفكر بمنطقية أكثر يا صديقي

أجاب وائل وهو يشعر بنشوة المدرس حين يعطي درسا لتلامذته القاصرين

- أخبرني إذن ؟

سأل خالد بتهكم ..

- أنها هوايتي التي أحب أن اتفنن بها واتقنها؛ لجعل من يجلس أمامي بوجوه مغفلة يصبحون فجاءة كمرآة لك، إن أردت لهم الخوف ما عليك سوى أن تطلق بعضا من الأكاذيب حول الأشباح والجن وتغطيه بكثير من الثقة و أحيانا بعضا من القسم الذي له تأثير سحري على السامع خصوصًا إن كان الأخير يستبعد الكذب عن رجل كبير ناضج مثلي هاهاها..

وإن أردت أن تضحك تختلق قصص مضحكة تنسجها سريعا بخيالك الموهوب الذي تعود على التلفيق والتزييف، أما إن كنت منزعج من أحدهم فما عليك سوى الكذب والكذب بأي موضوع تشاء حتى يقعون في فخ أكاذيبك وتخدعهم؛ لتبث فيهم روح اليأس والطاقة السلبية وأنت مستهزئ

بهم بداخلك، لذا أنا أحب أن أكذب، فهذا يمنحني شعورا بالتميز والقوة والسيطرة وأكون بهذا قد تغلبت على أي أحد كان أمامي ؛ وهذا لا يكون يا خالد إلا بالكذب والتدليس.

أجاب وائل بكم النصائح تلك لصديقه خالد وهو يشرح له عن روعة الشعور بالكذب وما يمنحه من تحليق زائف بعقول مخاطبيه ممن يضعون ثقتهم فيه.

- حسنًا أنا أرى أنك مستمتع بالكذب أكثر من أي شيء ولكن ألا تخاف من عواقبه ؟

أاجابه خالد وهو يفرك ذقنه بيده متفكرًا بكلام وائل وحيله وشدة كذبه الغير مبرر من وجهة نظره هو

- إليك نصيحة أخرى مجانية، بالكذب تستطيع النجاة دومًا وليس كما يقال إن في الصدق نجاة وقد فعلتها مئات المرات وحينما يكشفني أحدهم أحيك كذبة أخرى لتخرجني من الأولى، والآن كفانا حديثا عن دهائي وذكائي و قم لتحضر لنا كوبين من الشاي لتدفئة أجسادنا المتعبة فأنا أشعر بتوعك قليلًا وأثناء مرورك جيئة وذهابا احمل نفاياتنا معك وارمها في ذلك الصندوق . أنهى وائل كلامه بكذبة أخرى لا داعي لها أيضا.

- حسنًا سأقوم الآن بتحضير إبريق كبير من الشاي الساخن لكي تحلو جلستنا بدفئه ولكن أنت إذهب واجمع النفايات لأني متأكد انك كاذب ولا تشعر بتوعك ولكنك قد أدمنت الكذب يا صديقي ، ولو لم أكن أعرفك حق المعرفة وأعلم ما تحمله من طيبة وكرم وحب مساعدة الآخرين إلا إنني لم استطع التعود على كذبك والتعايش معه، فهي بصراحة أكثر صفة أكرهها فيك.

تحدث خالد إلى صديقه وهو يشعر بالأسف عليه.

شعشع النهار بنوره الآخاذ؛ ليملأ المكان بالحياة والنشاط، وبدأت أشعة الشمس بالطرق على النوافذ؛ لإيقاظ أصحابها ومداعبة وجوههم لإجبار العينين على فتحها وبدء يوم جديد ومن بين هؤلاء جلال ونيفين والأخوين رؤوف و ريهام، وبعد أن أنهوا فطورهم وجولتهم الصباحية المعتادة لتليين عضلاتهم والبدء بمغامرة جديدة اجتمع الأصحاب الستة وراح كل منهم يعطي رأيا بشان المغامرة القادمة، وأخيرًا استقر الأصدقاء على الذهاب لتلك الجزيرة الغامضة؛ ليكونوا أول مستكشفين تطأ أقدامهم أرض جزيرة الجنون والخروج منها وهم غانمين باكتشافات قد تغير أفكار تكونت حول هذه الجزيرة وخطورتها وسكانها الوهميين من الجن.

توجه الأصحاب الستة إلى رجل من أحد سكان تلك المنطقة يملك قاربًا كبيرًا وحديثًا؛ لسؤاله عن إمكانية تأجير قاربه، لأخذهم إلى جزيرة الجنون وفطرحوا السؤال عليه

- نحتاجك كدليل سياحي لنا مع قاربك لتأجيره والقيام بنزهة بحرية قريبة.

فوافق الرجل مباشرة وبدأ يشير عليهم بضرورة الذهاب إلى سلسلة الجزر التي تتصل ببعضها بجسور صخرية متفرقة كأنها لعبة أعدت للتنزه والترفيه وهي بالأساس طبيعة عذراء من إبداع الخالق.

ولكنهم رفضوا اقتراحه بالطبع؛ فقد كانت نيتهم التوجه إلى جزيرة الجنون تحديدًا؛ فبدأ كل واحدا منهم رمي كلمة تقرب الفكرة للرجل، وراح البعض منهم إلى الإستهزاء بخرافة وجود الجن على جزيرة الجنون تلك، وما أن فهم الرجل مقصدهم فتح عينيه خوفًا، واختنقت الكلمات في حلقه وراح يتمتم بكلمات بلغتهم الأم ثم هرب بسرعة من أمامهم.

ركض جلال ورائه و هو يتوسله أن يدله على أحد يقبل القيام بهذه المهمة ولكنه رفض حتى الكلام بالموضوع ، وبعد الإلحاح الذي كان جلال يتميز به قال الرجل اسم أحدهم وهرب..

- أذهبوا إلى "رونيه ريفيرا " أنه طماع وسيقبل القيام باي شيء للحصول على المال.

بحث الأصدقاء عن الرجل المعني بحثًا طويلًا متعبًا حتى وصل النهار لنصفه ولم يتمكنوا من إيجاده؛ فذهب بهم اليأس إلى التحليل القطعي بكذب الرجل عليهم للتخلص منهم بعد الحاح جلال عليه، جلسوا وهم متأسفين على وقتهم الذي ضاع هباء بالبحث عن شخص غير موجود أساسًا وكان الضجر و الغضب واضح على وجوههم، ولم تمض برهة حتى سمعوا صوتًا يتحدث إليهم وهو يتقدم نحوهم ..

- مرحبًا.. سمعت أنكم كنتم تسألون عني ولكني كنت خارج الجزيرة لإيصال أحدهم .. فأنا رونيه .. رونيه ريفيرا.

تلاشى التجهم من وجوههم فور سماعهم للاسم المطلوب والتفوا بسرعة حوله وهم يتوسلونه بتأجير قاربه إلى جزيرة الجنون؛ كي لا يضيعوا مزيدا من الوقت، بادئا رفض رونيه طلبهم رفضا قاطعا؛ محذرا إياهم من الذهاب إلى هناك لوجود كائنات مخيفة، وإنه قد سمع قصص مخيفة كثيرة عنها ولكنهم لم يكونوا يلقوا لتحذيراته أية أهمية، فبعد أن قص عليهم صديقهم وائل عن مغامرات جده على متن تلك الجزيرة أصبحوا واثقين بأن لا شيء غريب يحدث هناك، وأن كل تلك الحكايات المرعبة ما هي إلا أساطير الجدات أو من نسج خيال أحدهم ممن يخافون حتى من ظلهم، أو ربما يكون هناك شيئا ما حاول أحدهم إخفائه فراح يختلق الأكاذيب حولها،

مستشهدين باللؤلؤة التي وجدها جد وائل هناك فربما يكون هناك كنز غير مكتشف.

بعد أن يأسوا في محاولة إقناعه تذكر رؤوف كلمة ذلك الرجل حينما قال أنه يفعل أي شيء لأجل الحصول على النقود؛ فراودته فكرة جهنمية بشراء قاربه بمبلغ لا يستطيع رفضه؛ فأشار على أصدقائه بهذا الراي مقنعا إياهم بضرورة إبقاء القارب بقربهم في حال وقوع خطب ما يستعجلهم الرجوع،

وافق الأصدقاء وعرضوا مبلغًا جيدا على رونيه الذي لم يستطع رفضه ثم طلبوا منه أن يعبئه بالوقود؛ لأجل القيام برحلتهم ريثما يحضرون بقية مستلزماتهم في حال البقاء هناك لأكثر من أسبوع.

ظل كلام رونيه وتحذيراته حول تلك الجزيرة عالقًا بذهن وائل، فبدأ الخوف يتعششه خصوصا أنه يعلم إن ما قصه على أصدقائه كان كله كذبا في كذب فصمت لبرهة ثم صاح بصوت عال وهو يتأوه ويتألم ممسكا ببطنه، تجمع حوله أصدقاؤه وهم يحاولون حمله والذهاب به إلى أقرب مشفى، ولكنه رفض ذلك متحججًا بتهيج عصبي للقولون يصيبه دوما عندما يتحمس أو يتوتر لفعل شيئا ما، ثم أكمل حديثه بصوت متقطع وهو يتنفس بصعوبة بالغة ..

- إذهبوا من دوني؛ فأنا لن أتحسن إلا بعد مرور ثلاث ساعات أو أكثر وسوف تغيب الشمس عند ذلك الوقت؛ فاستعجلوا بالذهاب واتركوني أنا سأتدبر أمري.

لم يقبل الأصدقاء تركه وهو على هذا الحال ، واقترحوا أن يظلوا معه حتى يتحسن، وهنا نطق خالد بخبث..

-أ انا من سيبقى معه فهو صديق الطفولة ويستحيل أن أتركه وهو يتألم هكذا.. الف سلامة عليك، انا أعلم أن ألمك هذا ليس حقيقيا.. قاطعا كلامه ليثير صديقه وائل الذي صمت كما فعل الجميع للإستماع إلى ما سيقوله ونسى أنه كان يتألم، وراح يخازره بعينيه أن يصمت فورًا، ولكن خالد أبى السكوت وأردف قائلًا..

- ألمك الحقيقي هو أنك لن تستطيع الذهاب ورؤية مكان جدك المفضل الذي كان يقضي معظم أوقاته فيه.

تنفس وائل الصعداء بعد تلك اللعبة السمجة التي لعبها خالد عليه، وبذلك تخلص خالد من عبء الذهاب إلى تلك الجزيرة المخيفة والذي كان منذ البداية غير موافق للذهاب إليها لأنه يعلم أن وائل كاذب.

وصل جلال وزوجته نيفين ورؤوف وأخته ريهام إلى جزيرة الجنون، فبدؤا بإنزال أغراضهم من القارب حتى بدأت الشمس تجر خيوطها رويدًا رويدًا آخذة معها الدفء والأمان؛ ليحل الليل بغموضه وظلامه الدامس على الجزيرة التي لم يعرفوا بعد خيرها من شرها، شرع الأربعة بنصب خيامهم قرب الشاطئ، وقام جلال ورؤوف بربط القارب بجذع شجرة كبيرة تقع بالقرب من الساحل مادة جذورها الضخمة نحو البحر كأنها تستمد قوتها منه وتمده بقواها التي لم يعرف الأصدقاء شيئا عنها بعد!

قامت ريهام بإشعال النار بعد أن جمعتا هي ونيفين جذوعًا صغيرة كانت مرمية على الساحل ولكنهما لاحظتا شيئا لم يفهمانه أن كل تلك الجذوع الصغيرة بنفس الطول والعرض بالضبط !

فسر جلال هذا الشيء الغريب باحتمالية اختلاف نوع هذه الشجرة التي ترمي أغصانها عندما تصل إلى طول معين، تقبل الجميع ذلك الرأي واجتمع الأربعة حول النار التي لم تنطفئ على رغم أن ما جمعوه من أغصان لم يكن كافيا لإبقائها كل تلك الفترة! حتى أن ريهام لا حظت شيئا لم يجده أخاها مهما حين قالت:

- ألا تلاحظون أن النار لم تكن بهذا الحجم عندما بدأنا إشعالها، فقد تضاعف حجمها الآن !

ضحك رؤوف مستهزئا بكلام ريهام وراح يمازحها

- نعم فيبدو إن هذه الأرض تحوي على نفط خام يغذي نارنا

أنهى كلامه بضحكة مدوية سمعوا صداها يأتي من بعيد، إلا جلال الذي كان يتفكر بشان قول ريهام حول النار؛ فراح يقنع نفسة والبقية بأن هذا شيء وارد لأن الهواء هنا ساكن جدا وهذا ما جعل النار تكبر، وافق الجميع على كلام جلال الذي بدأ النعاس يغلبه؛ فطلب من نيفين المجيء معه والنوم في خيمتها

-إإذهب أنت يا جلال وسألحقك عندما أشعر بالنعاس، أما الآن فلي رغبة لقضاء الوقت برفقة ريهام و رؤوف.

هكذا أجابت نيفين زوجها الذي كان واقفا ينتظر مجيئها؛ فأستسلم لطلبها وتوجه نحو خيمته وقام بأغلاقها من الداخل، وما أن وضع رأسه على وسادته الصغيرة التي كانت ترافق لفة الفراش حتى بدأت تراوده أفكارًا سيئة تدور حول خيانة نيفين له مع رؤوف، ظل يغوص بتلك الأفكار و تراءى أمامه زوجته وهي تضاحك رؤوف الذي بدوره بدأ يتغزل بها تحت غطاء

الصداقة، حتى أخذه خياله بأن رؤوف قد اتفق مع ريهام لتتركه لوحده مع نيفين وتتحجج بالنعاس لتأوي الى خيمتها! حتى بات متأكدا من ذلك كأنه يراه أمام ناظره؛ ففز من مكانه ومد رأسه فورًا من الخيمة مناديًا على زوجته التي كانت تجلس لحالها مع ريهام وهما تستذكران معا حكايات الجامعة وشقاوتها.

- نيفين.. هيا قومي لتنامي؛ فأنا اشعر بالقلق عليك.. لم استطع النوم وتركك. ناداها بادئًا بصوت حاد عال، ولكنه غير تردد صوته فورًا عندما لمحها تجلس مع ريهام دون أي وجود لرؤوف؛ فشعر بالندم و راح يلاطفها بتلك الكلمات التي تدل على خوفه عليها لا أكثر، لبت نيفين نداء زوجها لها للخلود إلى النوم، فشعرت ريهام أن عليها النوم أيضا فقد تأخر الوقت وغدا لديهم مهمات كثيرة لإكتشاف جزيرة الجنون،.

ومنذ باكورة الصباح صاح رؤوف مناديًا جلال لإيقاظه من نومته بصوت قلق وفزع

- استيقظ يا جلال وتعال إلى هنا بسرعة .

- نهض جلال من فراشه بسرعة ليرى ما الذي جرى؛ فوجد رؤوف وريهام يقفان قريبًا على تلك الشجرة الكبيرة التي ربطوا قاربهم بأحد أغصانها الضخمة

- ماذا هناك لما أنتما قلقان هكذا ؟ ثم قطع كلامه لوهلة و صرخ فزعًا .. اللعنة اين القارب؟!

تحدث جلال إلى صديقيه وهو يهرول بإتجاههم

- ما الذي حدث كيف اختفى بسهولة هكذا ؟ ألم نربطه جيدًا بأغصان هذه الشجرة اللعينة من فك شدته ؟

تسأل جلال وهو لم يستوعب بعد سبب اختفاء القارب!

- أنا نهضت قبل الجميع ولم يلفت نظري اختفاؤه بادئا، ثم رحت اتمشى بمحاذاة الأشجار محاولة مني لاستكشاف صنفها وفهم نوعية تربتها و شدني معرفة جذورها ولكني بعد التمحيص والتدقيق لم اعرف لها أصول، كأنها شجرة ليست من أصناف النباتات ..

فسكت لبرهة بعدها أكمل ..

أو ربما تكون شجرة مهجنة ! ثم لاحظت أن الغصن الكبير الذي ربطنا فيه قاربنا قد اختفى هو الآخر و طرق فورًا ببالي اختفاء قاربنا معه!

تحدث رؤوف الى ريهام وجلال وهو يشرح لهما كيف لاحظ اختفاء قاربهم،

كان رؤوف مختصا بدراسة النبات وعلم التربة، لذا أول ما لفت نظره لتلك الجزيرة هو اختلاف الأشجار الضخمة عن تلك التي درس عنها أو رآها، ثم جلس على الأرض وراح يقلب التربة بكفه؛ فوجد لها خواص آثارت استغرابه أيضا، ثم التفت إلى جلال يخاطبه..

- أنظر إلى هذه البقعة.. عند المشي عليها تشعر بصلابتها ولكن عندما تضغط عليها في نقطة محددة تغوص بك، أنا لا أعرف تصنيفها بالضبط ولكني أعتقد أن بها عناصر متغيرة تختلف عن التربة العادية ربما هذا سبب نمو تلك الأشجار الغريبة فوقها.

- و ربما هذه الأغصان الضخمة لم تكن قوية كفاية؛ فكسر قاربنا الجذع

الذي ربط فيه وتاه بالمياه .

أجابت ريهام

- لا.. أنا أعتقد أن هناك شيئا غامضًا؛ فليلة البارحة أنا لم استطع النوم وبقيت أراقب البحر و لم الحظ أي أمواج، حتى المد والجزر لم يكن موجودا كانت المياه ساكنة تمامًا.. فكيف تسحب الأمواج القارب وتكسر الغصن ؟ ثم أن النار التي اشعلناها لم تنطفئ أبدا إلا عند بزوغ أول شعاع للشمس خمدت النار فورًا كأنها انحنت احتراما لطلعتها

تحدثت نيفين وهي خارجة من خيمتها متوجهة إليهم وهي تتثاءب وتفرك بعينيها الحمراوين، فهي حسب ما قالت لم تستطع النوم ليلة البارحة بل قضت الليلة بمراقبة الجزيرة والاشياء الغريبة التي حدثت.

-(جيد .. الآن أخبرينا كيف اختفى القارب ومعه الغصن الضخم ذاك.. الم تكوني مستيقظة طوال الليل تراقبين ما يحدث ؟

سألها جلال

- غفوت لأقل من دقيقة وعندما نهضت لم أرى القارب و لكن الغصن كان موجودا ولكنه قصر بطريقة ما لم افهمها فقد وصل الى منتصف الرمال واليوم صباحا اختفى بالكامل !

أجابت نيفين وهي لاتزال حائرة لكل ما رأت وحدث

- والآن السؤال الأهم هل نستطيع صنع قارب بهذه الاشجار الغريبة أم لا؟

سأل جلال وهو ينظر إلى رؤوف للإستفسار منه

لم يستطع رؤوف الإجابة عن هذا السؤال كحاله من الأسئلة الكثيرة التي طرحها كل منهم، فكل شيئا هنا يبدو غريبا وغير مألوف ولكن لم يستطع أحد منهم الإعتراف بذلك كي لا يكون هو الأجبن بينهم؛ فسكت الجميع وظل عقلهم يصرخ فزعًا ووسوسةً، ولم يكن أمامهم إلا إكمال رحلتهم المشؤومة هذه؛ فاتفقوا على البدء بالبحث والاستكشاف ..

تقسموا لقسمين جلال ونيفين يبحثون في الجهة الشرقية ورؤوف وريهام في الجهة الغربية والعودة تكون قبل مغيب الشمس، توجه كلا الفريقين كل إلى الجهة التي أنيطت به، وبعد مسير لمدة ساعتين بدأت نيفين تشعر بدوار و إعياء حتى بدأت بالاستفراغ ثم جلست قليلًا لترتاح وجلال واقف جنبها يغسل وجهها الذي شحب فجاءة، ثم سمع الاثنان صراخا لإمرأة وهي تستنجد لإنقاذها، فز جلال واقفًا وهو يبحث عن مصدر الصوت، ثم حمل حقيبة ظهره وبدأ بالمسير متجاهلا نيفين ومرضها باحثا عن ذلك الصوت الذي بدا غاية في الرقة والنعومة، غضبت نيفين لتصرف زوجها اللامبالي فنادته بصوت غاضب

- سأعود إلى خيمتي فأنا لم أعد أريد إكمال المسير؛ فقد صرت أشعر بتعب شديد.

وافق جلال مباشرة بإيماءة من رأسه وأكمل بحثه عن تلك المرأة المستنجدة ولكنه قبل أن يختفي عن ناظري نيفين حدثها قائلً:ا

- نعم حبيبتي الأفضل لك أن ترتاحي وأنا سألحق بك فور تأكدي من مصدر ذلك الصوت ..

ثم تمتم بسره (الأنثوي الرقيق)

عادت نيفين إلى الساحل حيث خيمتها وهي مستاءة جدا من تصرف زوجها فتفاجأت بجلوس رؤوف على تلك الشجرة الكبيرة

- أهلا يا نيفين ما الذي عاد بك الى هنا ؟

- مرحبا يا رؤوف لم عدت ؟

تكلم الاثنان سويًا فتخالطت كلماتهم مع بعضها، كلاهما تعجب لعودة الثاني فانتهيا بضحكة كبيرة حتى شرحت نيفين سبب عودتها وسماعهم لذلك الصوت الأنثوي ثم اعادت السؤال عليه

- وأنت ما الذي أعادك إلى هنا ؟

- بصراحة لا أعلم .. كأن أحدهم همس بأذني بضرورة عودتي إلى هنا ! فطلبت من ريهام أن ترافقني ولكنها أسرت بمنظر خلاب قد لمحته أثناء مسيرنا كان اشبه بسرير أخضر تخطيه الأزهار وأمامه مياه تفور من الأرض تنثر رشقات دافئة و لامعة كأنها حبات ماسية.. وكل هذا محاط بصخور بيضاء مصقولة تعكس ضياء الشمس عليها فبدت كأن هناك عدد من الراقصين يتمايلون بأجسادهم الرشيقة.. أنا لم يشدني كل ذلك وكان كل ما أتوق إليه العودة الى هنا.. ولكني لم أجد شيئا؛ فجلست على هذه الشجرة سارقة القوارب اتفكر في كيفية خروجنا من هنا ؟

أجاب رؤوف وهو حائرا لكل ما يحدث حوله

لم تمر سوى بضع دقائق حتى سمع الاثنان صوت جلال وهو ينادي زوجته لكي تساعده في حمل قطع خشبية عريضة كان شكلها مناسبا لعمل قارب، وما أن وصل إلى الساحل حتى توقف راميا تلك الأخشاب من على ظهره وهو ينظر إلى نيفين ورؤوف نظرة لا تخلو من الشك والاستفسار

- رؤوف ما الذي تفعله هنا الم نتفق على مسح الجهة الغربية للجزيرة والعودة قبل مغيب الشمس !

سأل جلال بنبرة تلمح لشيء ما ..

- للتو كنت أحدث نيفين عن سبب مجيئي إلى هنا ولم أعرف السبب اطلاقا سوى أنني كنت مجبرا على الحضور هنا

أجابه رؤوف بتلك الكلمات التي أشعلت نار الغيرة في قلب جلال، و لم يسمعها كما قالها رؤوف، بل سمعها بطريقة ثانية بعيدة عن مقصد رؤوف راحت تلك الكلمات تطرق بأذنيه كأنه يقول:

قلبي الذي أحضرني فقد أحس بوجود نبضه ينتظر هناك، كما أننا قد اتفقنا على اللقاء هنا بعد أن أتخلص من أختي ريهام وتلهيتها بشيء ما، و حبيبتي نيفين تدعي المرض ليلتقي طائرا الحب على أرض جزيرة الجنون هذه ليكون المجنونان بحبهما

هذا ما سمعه جلال أو ما حلله بدماغه، ثم أكمل بصوت مسموع وهو يقول

- لكن على من تضحكون أيها الخونة

فراح موجها لكمة بوجه رؤوف دون سابق إنذار طرحه أرضا مباشرة، ثم انهال عليه بالكمات حتى أنه لم يعطه الفرصة للدفاع عن نفسه، صرخت نيفين ورمت بنفسها على رؤوف وهي ترجو زوجها أن يكف عن ضرب رؤوف، سمعت ريهام الصراخ وأسرعت بالعودة إلى الساحل فرأت أخيها وهو مغطى الوجه بدمائه وجلال يقف بعيدًا عنه تقف بجنبه نيفين وهي تتحدث إليه بعصبية وغضب من تصرفاته المجنونة ، ركضت نحو رؤوف

وبدأت بغسل وجهه لإزالة الدماء عن وجهه وهي تخاطبه بلهجة غاضبة و خائفة

- هل جلال هو من ضربك ؟ ولماذا فعل ذلك ؟ أخبرني يا أخي !

لم يعلم رؤوف علام يجيبها فهو بالفعل لم يفهم تصرف جلال الغريب وما الذي دفعه لضربه، ظل مصدومًا وهو ينفض التراب عن ملابسه وأخته تحاول تضميد آثار الضربات التي شقت شفته وكسرت أحد اسنانه، لم يود رؤوف أن يسأل جلال عن سبب فعله هذا و لا أن يتحدث معه، فأي سبب لن يبرر هذا الهجوم وتلك الوحشية، ففضل الخلو لحاله والتمشي بعيدًا عن الجميع

أما ريهام فلم تستطع السكوت وراحت تتشاجر مع نيفين و جلال حتى وصل الأمر بها إلى سبهم بعد أن طلبت منهم معرفة السبب وراء ضرب أخيها ولم يجيباها الاثنان؛ فجلال فضل السكوت على أن يخانق امرأة ويصل به الحد إلى ضربها، أما نيفين كانت خجلة جدا من شك زوجها الغير مبرر بزوجته وصديق عمره، فلم تستطع أن تجيب اسئلة ريهام التي تركتهم هي الأخرى وراحت تبحث عن أخيها قبل هبوط الظلام.

لم يمر كثيرا من الوقت حتى حل الليل بردائه الأسود المخيف على تلك الجزيرة المرعبة و التي استحقت أن تلقب ب جزيرة الجنون! فليس من المعقول أن يصير أصدقاء العمر اعداءا لدودين لبعضهم بين ليلة وضحاها!

دخل جلال إلى خيمته ليخلد إلى النوم كما فعلت نيفين لكن الأخيرة لم تستطع النوم، فقد شغل القلق مساحة كبيرة من تفكيرها فهي تشعر بالذنب لكل ما حدث لرؤوف وأخته إن حصل لهما مكروه ولم يعودا، جلست تترقب بحذر

كل صوت وحركة إلى أن سمعت أصواتًا من بعيد تتحدث، ازداد خوفها كانت تتمنى أن يكون ريهام ورؤوف هما من يتحدثان، ولكنها كانت خائفة أكثر إن لم يكونا هما ؛ فهي تشعر بشيء غريب حيال هذا المكان.. وفجاءة انقطع الصوت !

شعرت نيفين كأن نفسها انقطع حتى خافت أن تبلع ريقها تخاف أن يخرج صوت منها ويجدها من كان يتحدث، مرت اللحظات كأنها سنوات لم تستطع أن تتحرك خلالها نيفين أبدا حتى أجفانها جمدت مكانها وهي تنتظر ذلك الشيء، سمعت صوت وقع أقدام اقتربت من خيمتها ولكنها انقطعت حين سمعت صوت نفس خفيف جنب الباب، في تلك اللحظة شعرت نيفين أنها ستموت قبل أن يقتلها أو يلتهمها هذا الشيء الذي يقف عند باب الخيمة قطعت نفسها نهائيًا خوفا أن يسمعها الذي يقف خارج خيمتها، ثم سمعت كلمات بصوت خافت..

- أعتقد انها نائمة

هنا جرت نيفين نفسها براحة بعد تلك الأزمة؛ فقد عرفت أنها ريهام هي من تقف عند خيمتها، بدون أن تشعر فتحت السحاب بسرعة وأخرجت رأسها وهي تنادي

- ريهام.. حمد لله على سلامتكم كنت قلقة جدا عليكما

التفت ريهام إليها بعد أن فزعت من حركتها السريعة وظهورها المفاجئ وقد تأكدت توا من نومها

- آه لقد أفزعتني يا نيفين.. فقد ظننتك نائمة

- أنا آسفة لم أقصد إخافتك

أجابتها نيفين بصوت خجل.

- بل أنا آسفة منك يا صديقتي؛ فاليوم كنت غاضبة جدًا وأطلقت الشتائم عليك وأنت لم تفعلي شيئا، فالذنب ليس ذنبك بل يقع كله على عاتق زوجك جلال المجنون.

أجابتها ريهام بصوت خجول

بعد أن تحدثت الصديقتان واعتذرتا سلمت إحداهما على الآخرى متمنية نوما هانئا وبداية جديدة أسعد غدًا.

خلد الأربعة إلى النوم و كان الظلام دامسًا فهم لم يشعلوا نارًا الليلة، فكل واحدا منهم كان نارًا متنقلة لوجود تلك المشكلة وهذا التوتر، وبعد منتصف الليل استيقظ جلال فزعًا وهو يتنفس بسرعة، نهض من فراشه وبحث عن قنينة الماء خاصته كي يبل ريقه الناشف بفعل الكابوس الذي رآه اثناء نومه

ثم سمع صوت حديث وضحك وهمس! فتح سحاب خيمته بهدوء كي يرى من المتحدثان !

فلم يجد احدا خارجا ! ثم عاود التركيز لمعرفة مصدر الصوت فسمع صوت أنثوي يخرج من خيمة رؤوف، خرج مسرعا من خيمته وتوجه مباشرة إلى خيمة رؤوف ليسمع بوضوح أكثر، فسمع ما لم يود يومًا أي زوج أن يسمع كان صوت مداعبة واضح، فلم يحتمل الموقف وبعد هذا راودته أفكارًا شيطانية بعدما تأكدت شكوكه حول وجود علاقة بين نيفين و رؤوف!

فأسرع إلى موقد النار وأخذ حجرًا كبيرًا وذهب إلى خيمة رؤوف وهو يتوعد الخائنان بالقتل والإنتقام؛ ففتح الباب بعدما مزقة وراح يضرب بقوة على رأس رؤوف الذي لم يستطع التحرك بعدما جلس جلال فوقه كي يقيد حركته

، ولم يعد لوعيه إلا بعد أن تهشم رأس رؤوف، توقف لبرهة لجر نفسه وبعدها بدأبالصراخ على نيفين التي كانت تختبئ خلف ظهر رؤوف ضامة رأسها تحت الغطاء ولم تظهره اطلاقا، فمد يده نحو عنقها ليشرع بخنقها.. وهنا سمع صوتا قريبًا عليه

- جلال مالذي فعلته يا مجنون ؟!

التفت نحو باب الخيمة الممزقة بعد أن سمع صوت نيفين يأتي من هناك

- اللعنة لم تكوني أنت.. ما هذا؟

تحدث جلال بصوت فزع متقطع ومرتبك حتى التفت إلى من كان ينام جنب رؤوف، فمسك الغطاء و رفعه بسرعة، فتفاجئ بعدما رأى !

كائن غريب الشكل برأس امرأة،ولكن جسدها كان لا يزال مغطى كان لونها ازرق حتى شعرها كان باللون الأزرق ولكنه لم يكن كالشعر العادي بل كأنه افاعٍ لفت على بعضها، وعينان صغيرتان يملأهما اللون الأصفر الفاقع يشوبه خطوط حمراء كأنها براكين ونيران مشتعلة ، فمها أسودا حتى عندما فتحته كان قاتم السواد كأنها جنية أو مسخ من مسوخهم، ثم ضحكت بضحكة مديدة عالية ، ثم وجهت نظرها إلى جلال بخبث و مكر وبعدها نظرت إلى نيفين التي وقعت أرضا حال النظر إلى عينيها.

التفت جلال إلى نيفين عندما سمع صوت وقوعها أرضًا، ثم عاود النظر إلى تلك المخلوقة ولكنه لم يرى أحدا هناك، فقد اختفت تاركة ورائها جثة رؤوف غارقة بدمائها ! خرج جلال مسرعًا من تلك الخيمة اللعينة وبدء بالنواح وهو يشعر بخوف كبير ثم ركض إلى نيفين ورشق وجهها بالماء لإيقاظها لتكون جنبه بعد كل المصائب الغريبة والمخيفة التي حدثت.

وبعد عدة محاولات أفاقت نيفين وهي تنظر إلى زوجها كأنها لم تتذكر شيئا ولم تفت سوى دقائق وبعد ان رأت حالة زوجها المريعة ؛ ومض بعقلها كل ما رأت والتي كانت تحسبه مجرد كابوس مرعب وولآ، فأرادت التأكد إن ما حدث قد حصل بالفعل، رفعت رأسها موجهة نظرها نحو خيمة رؤوف فرأته جثه هامدة؛ ليتأكد كل شيء، وتيقنت أن ما حدث حقيقيا وليس كابوسًا لعينًا.

- نيفين أرجوك أخبريني إن كنتِ قد شاهدت ذلك المخلوق المرعب أم أنني قد جننت؟

سأل جلال وهو يرتجف خوفا

- نعم رأيته يا جلال فاطمئن إنك لست مجنون.. ولكنك اصبحت قاتل ! وهذا المخلوق ليس أسوأ من فعلتك، وأن ظهر لك الجن هذا لأنك قد اقتحمت عالم شياطينهم بفعلتك النكراء تلك ولن تستطيع الخروج منه إلا بموتك !

أجابته نيفين وهي مستاءة جدا من فعل زوجها الذي لن ينفع أي مبرر له

- كفاكِ ملامة؛ فلولاك لما فعلت ما فعلت.. لأني شعرت بغيرة عارمة حينما طرق ببالي إمكانية وجود علاقة بينك وبين رؤوف.. فجن جنوني وقتلته . أجاب جلال وهو يحاول تبرير فعلته النكراء وإلقاء اللوم على غيره بدل الشعور بالذنب لقتل صديقه.

- تلك وساس الشيطان كانت تحاك وتزهر برأسك الذي أبدى استعدادًا لتقبلها كما أعطاك الحق في قتل صديقك ونيتك في قتل زوجتك بناء على وسواس فقط، أنت من جعلته يكبر بعد أن استسلمت لشيطانك وأوقفت عقلك عن العمل للحظات ولكن هذه اللحظات كانت كفيلة بالقتل حتى وأن كنت لا تقصد

فأنت الآن أصبحت قاتلًا ؛ لذا أانا لم استغرب وجود الشيطان فها أنت أمامي أصبحت أسوأ من شيطانهم

وبخت نيفين زوجها بأقسى الكلمات وأصدقها .

- أرجوكِ نيفين أنا أعلم إن ما فعلته كان خاطئا وقد مات أعز أصدقائي بسبب لحظة غباء مني، ولكني لا أريد خسارتك وخسارة حياتي فساعديني أرجوكِ.

توسل جلال بزوجته كي لا تفضح أمره أمام ريهام ويبقى ما حدث سرًا بينهم، وافقت نيفين مجبرة فسيبقى جلال زوجها الذي احبته دوما و حتى وإن كانت رافضة لما فعله ولكنها لا تريد خسارته.

حل الصباح ضاحكًا لمن كان آمنًا و باكيًا لمن كان مذنبا، استيقظت ريهام وتوجهت مباشرة نحو نيفين في خيمتها

- صباح الخير يا نيفين الم تري رؤوف ؟ غريب حتى خيمته غير موجودة! سألت ريهام والحيرة تثقل كلماتها

- أهلًا عزيزتي.. أنا لا أعلم أين ذهب أخاكِ، فأنا لم أره منذ ظهر البارحة عندما تشاجر معه جلال

أجابت نيفين محاولة إخفاء المصيبة التي حلت بهم البارحة والتي راح ضحيتها رؤوف المسكين

- نعم.. ولكنه عاد معي ليلًا ودخلاإلى خيمته ولم يذكر أي شيء عن رحيله وإلى أين سيذهب في هذه الجزيرة لوحده ؟

ردت ريهام وهي مستغربة، تستشعر حدوث خطب ما ...

- لابد أنه ظل منزعجًا من جلال لذا قرر الابتعاد عن هنا

أجابتها نيفين وهي تحاول أن تمتص جزءًا من خوفها وقلقها

- ولكن أنا قلقة عليه جدًا سأخذ حقيبتي وأذهب للبحث عنه، وعندما يستيقظ جلال إذهبوا أنتم أيضا للبحث عنه وايجاده؛ وليعتذر منه جلال ويقنعه بالرجوع معنا.

تحدثت ريهام وهي تهم للرحيل

- حسنًا يا ريهام إذهبي أنت ألآن ولكن خذي حذرك فهذه الجزيرة غريبة وارجعي قبل المغيب ، وأنا وجلال سنذهب للبحث عنه

بعدما رحلت ريهام للبحث عن أخاها فزت نيفين من فراشها وتوجهت نحو خيمة جلال وهزته بقوة لإيقاظه وتحدثت معه بصوت خافت

- هيا جلال استيقظ فقد طلع النهار

- دعيني أنام قليلًا أانا لم أنم ليلة البارحة إلا سويعات أشعر بإجهاد بدني ونفسي فأرجوكِ إتركيني

أجابها جلال وهو يحاول أن يسرق وقتًا إضافيا لإكمال نومته

- لن أتركك إن لم تخبرني بما فعلته بجثة رؤوف ؟

أجابت نيفين بصوت غاضب

- حسنًا.. لقد جررتها إلى ما بعد تلك الأشجار الضخمة ودفنتها هناك ودفنت معها خيمته وكل شيء يخصه كي أجعل الأمر يبدو على أنه رحل من هنا فحسب، لأن ريهام إن شمت خبرا بالحقيقة سيلف حبل الإعدام حول رقبتي يا نيفين وأنا خائف جدًا

اجاب جلال وهو لايزال مستلقيا ليعود لنومه الذي قطعته عليه نيفين بعدما ذكرت سيرة الجنية وما صار بسببها؛ فرفعت نيفين يد زوجها لمساعدته على الإستيقاظ والوقوف على رجليه وهي تخبره بوجل و اضطراب

- قم لنصنع قاربًا ونرحل من هذه الجزيرة المليئة بالشر والجن هيا فأنا صرت أخاف من أي شيء حولي.

- وأنا أتخيل هذه الجنية المخيفة أينما أدرت وجهي، أرى ضحكاتها اللئيمة ونظراتها المفزعة كأنها تريد بلعي بثغرها الأسود كمغارة دهماء.. يا الهي لا أعلم ماذا حصل ليلة البارحة

تحدث جلال و هو يرتعش خوفًا ممسكًا بيد نيفين خوفًا أن تتركه لوحده !

ثم بدأت نيفين باسترجاع الأحداث منذ بداية وصولهم لهذا المكان الملعون و حاولت ربط الأحداث مع بعضها بعدما اكتشفت وجود مخلوقات غيرهم تسكن هذه الجزيرة، وليسوا كأي مخلوق فأنهم شياطين الجن المنبوذين هم من سكن تلك الجزيرة منذ قديم الأزمان وحسب ما كان يعتقده سكان هذه المناطق؛ لذا لم يتجرأ أحد بالوصول إلى هنا ليس لخوفهم على أنفسهم فحسب وإنما خوفهم من لعنة حضورهم والدخول إلى عالم الشر المطلق كما فعل الأصدقاء وشجعهم في ذلك كلام وائل المؤكد بأمان هذه الجزيرة والتي تمت زيارتها لمرات عديدة من قبل الصيادين وعلى راسهم جد وائل..كما إدعى وائل قبل أن تطأ أقدامهم لهذه الأرض الملعونة ، فأطرقت نيفين لبرهة ثم أكملت بعد أن غاصت بتفكير وتحليل لكل ما جرى ...

- إذن وائل كان يكذب علينا ونحن من إئتمناه وصدقناه ولم نفكر للحظة بكذبه، لا يعقل لمرء أن يكذب دون داع أو مصلحة له فما كانت مصلحته

من احضارنا إلى هنا ؟

- لا مصلحة له فكما يبدو إنه قد تعود على الكذب وحسب !

أجاب جلال وهو يزفر أنفاسه بعمق و ألم

- أتتصور أن رؤوف كان فعلًا يضاجع تلك الجنية ؟ أي أنه يعلم قبلنا بوجود الجن على هذه الجزيرة ؟

سألت نيفين بفضول

- لا..لا أعتقد هذا فعندما هاجمته بالصخرة تلك كان نائم وظهره على جهة الجنية و الجنية مضطجعة جنبه دون أن يعلم هو بوجودها ولكنها كانت بخبث ودهاء عظيمين؛ كانت تصدر أصواتا تشبه تلك التي تصدر عندما يمارسون الجنس ؛ كي ترسخ بعقلي أنه كان بصحبة امرأة وبالطبع سأفكر بك أنتِ أولا.. صدقيني يا نيفين أني لم أشك بك يومًا ولكن عندما وطئت قدمي هذه الأرض الملعونة بدأت الكوابيس تراودني وأنا نائم، وتلك الأفكار الشيطانية وأنا مستيقظ أو ربما كنت نائما دوما تحت تأثيرهم !

تحدث جلال بصوت منكسر وهو يضع يده على جبينه خجلًا

- معك حق فأنا أيضا دوما أحسست بوجود شيئا يراقبني وأشعر دوما بأفكار عدوانية و حتى وصل الأمر بي إلى التلذذ بأشياء مؤلمة تحدث لأحدنا!
وافقت نيفين كلام جلال بقلق وذعر، فكما يبدو ان الجن الذي يسكن تلك الجزيرة كانوا يتلاعبون ويضحكون على الأصدقاء وجعلوهم بوسوستهم يأتمرون بأمرهم و يتاح لهم ذلك في حالات الضعف التي تنتاب الإنسان كالغضب و الشك و الظلم.

ثم تحدث جلال بتضايق و فزع ...

- هيا ساعديني يا نيفين لنصنع القارب ونخرج من هنا بأسرع وقت قبل أن نفقد عقلنا نهائيا .

وبالفعل بدأ الاثنان بالعمل على بناء القارب الذي سيكون وصلة نجاتهم من القتل أو الجنون، مرت ساعات طويلة قبل أن تعود ريهام من رحلة بحثها عن شقيقها ، عادت وهي مرهقة ويائسة يأكل وجهها التجهم والهموم والقلق

دخلت إلى خيمتها مباشرة دون أن تلقي التحية على أحد، كان جلال يواري وجهه عنها كي لا تكشف جريمته، و نيفين لم تجرؤ أن تذهب إليها وتسالها بخداع عن أخيها لأنها تعلم أين هو بالتحديد، ظلت معزولة هناك قرابة الساعة ثم سمع جلال ونيفين صوت بكاء و عويل صادر من خيمة ريهام فركضت نحوها نيفين؛ لتستعلم الأمر فتحت عليها باب الخيمة برفق وما ان رأتها ريهام حتى رمت بنفسها على نيفين و هي تبكي، و راحت تشكي لها حالها لفراق أخيها وكم هي قلقة عليه وتخاف ان يحدث له مكروه وهو على هذه الجزيرة المخيفة لوحده.

- لا أعلم إن كان بخير أو كان قد وقع بقبضة أحد الشياطين الموجودين هنا

تحدثت ريهام و الدموع تغرق وجهها العابس

- ماذا عن أي شياطين تتحدثين ؟

سألت نيفين باستغراب

- لا داعي لنمثل على بعضنا يا نيفين فكلنا قد علمنا بوجود الجن هنا فور وصولنا إلى هذه الجزيرة المشؤومة وتأكدت شكوكنا عندما بدأت كل تلك

الأشياء الغريبة بالحدوث حتى هذه الأشجار سمعتها وهي تأن، لربما لأنها تتألم أو أحدا بداخلها محبوس يتألم !

حتى أغصانها غير عادية؛ فهي تتحرك كالأذرع الطويلة و هم من فك ربطة قاربنا؛ كي يتوه في هذا البحر الكبير ويكتب علينا التيه بعده!

كما تأكدت اليوم بوجود الجن يعيش هنا عندما لمحت بالصدفة أحدهم في أحد الكهوف وهو ....

سكتت ريهام ولم تستطع إكمال ما كانت تتحدث به ...

- وهو ماذا؟ أكملي يا ريهام

سألت نيفين بفزع وفضول قاتل

- حسنًا.. كما هو معروف للكل أنها أحادية الجنس أي انها تتكاثر لحالها فكان أحدهم يضاجع نفسه !

ولم تكمل ريهام كلامها بعد حتى طارت الخيمة من فوقهما وقذفت ريهام على بعد خمسة أمتار من مكانها وهي تمسك رقبتها و وجهها كانه سينفجر فقد احمر احمرارًا شديدا كأن أحدهم كان ممسك برقبتها ويحاول أن يخنقها وهي تحاول ان تبعد ذلك الشيء عنها ولكنها لا تستطيع !

هرعت نيفين إليها لتحاول يائسة مساعدتها ولكن لم يجد أي شيئا نفعًا حتى قرر ذلك الشيء تركها.

وكأنها كانت ضربة تأديبية لا أكثر حتى لا تتمادى بذكرهم أكثر .

جلست ريهام وهي تحاول أن تُعيد نفسها المقطوع و الدموع تملأُ عينيها و هي متألمة وخائفة.

نادت نيفين على جلال ليحضر بسرعة؛ فقد بدأ الليل بالهبوط تدريجيًا

- اسمع يا جلال وأنتِ يا ريهام الآن اصبح كل شيء مكشوفًا انهم معنا ولن أذكر اسمهم فهم يرونا ويسمعوننا، والآن لن يكتفوا بالوسوسة لنا كما يفعلون نهارًا بل إنهم سيحاولون إيذائنا؛ فقد حل الليل و فتحت أبواب عالمهم على مصراعيها فتوقعوا هجومًا في أي وقت منهم، ولذا علينا أن نكون متيقظين وأن لا ننجر وراء أي وسوسة أو فعل، والآن المطلوب منكم أن تشغلوا عقولكم إلى أقصى حد، علينا أن نتجمع سويًا وأن لا يغيب أحدنا عن نظر الآخر، فالأمر خطير جدا ولا نريد خسارة شخص ثان.

قاطعت ريهام حديث نيفين بسرعة عندما استشعرت بكلامها شيئا من الغموض لا تفهمه..

- ماذا تقصدين يا نيفين بشخص ثان؟ وهل تقصدين رؤوف الشخص الأول قولي هل تعرفين شيئا عنه لا اعرفه أنا ؟ تكلمي أتوسل إليكِ ارحميني فأنا سأجن لكثرة قلقي عليه.

- أنا لا أقصد أخاك يا ريهام أنا آسفة جدًا.. صدقيني أنا لا أعلم شيئا عنه ولو كنت أعلم لأخبرتك فلا مصلحة لي بالكذب عليك .

اعتذرت نيفين وهي متأسفة لحال ريهام فقد صدقت بحزنها لحال صديقتها ولكنها كذبت عندما انكرت معرفتها لمكان أخيها.

أثار ذلك الحوار الشجون على ريهام و بدأت بالنحيب على أخاها الذي مر يوم كامل على اختفائه !

لم تستطع نيفين التخفيف عنها وبالطبع كان جلال صامتًا طوال الوقت يخبئ رأسه بين رجليه في حجره واضعًا كلتا يديه فوق رأسه كأنه يريد أن ينقطع

عن كل ما حوله وخصوصًا ريهام.. فكم مرة تمنى فيها أن يضع خرقة في فمها ويصمتها إلى الأبد، ومرة أخرى يبكي قهرًا وندمًا على فعلته برؤوف كان ينود كالمجنون وهو قابع في مكانه والجنون يحيطه من كل جهة .

صمتت ريهام لبرهة ثم نظرت إلى جلال نظرة غل و عيناها غارقة بالدموع ثم هجمت عليه فجاءة ومسكته من ذراعيه وهي تقول له

- كل ما حدث لأخي بسبك أنت أيها الشكاك.. أنت إنسان مختل كيف لك ان تفعل هذا بأخي ؟

رفع جلال رأسه ببطء وهو ينظر إلى ريهام وهي تكز على أسنانها عليه ونيفين جمدت مكانها كلاهما خاف أن تكون قد كشفت السر، وفجاءة رفعت ريهام يداها عن كتفه وهي تنظر إليه باستغراب بعد أن بدأ جسده بالإرتعاش كسعفة نخيل وقت هبوب الرياح قربها، حتى أسنانه كانت تطق ببعضها وقد تجمد وجهه فزعًا من أن تكشف ريهام جريمته، و بدأ بغمغمة كلمات غير مفهومة كأنه كان يريد الإعتراف بما فعل بعد هذا الضغط الهائل، ولكن نيفين تدخلت بسرعة وأبعدت ريهام عن جلال وراحت تواسيها لتلهيها عن زوجها، ثم التفت بسرعة إلى جلال وحضنته بقوة وهي تخبره أن يمسك أعصابه وأن يهدأ فليس هناك ما يقلقه، وظلت تهمس بأذنه إلى أن هدأ بالفعل و استقرت حالته قليلًا.

مر الليل طويلًا عليهم وهم وجلون مما سيحدث لهم، تارة يسمعون صوت مزامير تعزف بإيقاع غريب، وتارة آخرى يشعرون بحرارة تقترب على وجههم تدوم للحظات ثم تختفي بسرعة، حتى الرمال كانت تتحرك كأن جيشا يسير فوقها وأغصان الأشجار التي تحيطهم ترتفع وتهبط دون وجود للرياح ! لم ينامو إلا قليلًا فقد عملوا مناوبات للمراقبة .

طلع الصباح عليهم جالبا الأمان المؤقت لهم، فأسرعت ريهام بلملمة أغراضها ومعاودة البحث عن أخيها، أما نيفين وجلال توجها إلى وسط الغابة الكثيفة لجمع أغصان تشبه الحبال؛ لربط الواح الخشب ببعضها لصنع القارب الذي سيكون فرصتهم الوحيدة بالنجاة، ولكن جلال لم يكن خير عون لنيفين فقد أصبح في الفترة الأخيرة كمن مسه الجن، تصرفاته باتت أكثر من غريبة حتى نيفين كانت تخاف منه أحيانًا حينما يقلب عينيه أو يدور رأسه وكأنه غير متصل بجسده .

كان يعاني من توتر دائم ويأس من كل شيء و توقع الأسوأ في كل شيء حتى إنه كان يبكي دون سبب أحيانًا، فلم تجد نيفين تفسير لكل هذا إلا تفسيرًا واحدًا وهو الشعور بالذنب والندم؛ لقاء قتله لرؤوف، و رغم كل ما مر على نيفين من مصائب لم تفقد رباطة جأشها حتى آتاها الوقت الذي كادت أن تخسر عقلها بسبب ما رأته، حينما سمعت صرخة مدوية كأنها تعود لريهام؛ فتوجهت رأسا نحو مصدر تلك الصرخة وراحت تركض بين الأدغال الكثيفة تبحث عن صديقتها، تبعد هذا الغصن الغريب النازل من أعلى الشجرة كأنه يمنع المرور ومرة آخرى تقفز فوق جذرًا كبيرًا ناميًا فوق الأرض وواصلًا إلى مسافة بعيدة لا تستطيع الوصول بنظرها إلى آخره.

وبينما هي تركض كالمجنونة وصلت إلى نهاية لتلك الأرض المتمردة لتبدأ أرض منخفضة جدًا عن سطح البحر، تملؤها صخور كبيرة حادة وبعض شجيرات غريبة الشكل متشابكة الأفرع كأنها أعشاش كبيرة لأشياء حجبتها غيوم متكونة بفعل البخار أو الدخان الذي كان متشكلا فوق تلك الأرض المنخفضة، فوقفت للحظة كي تستطيع رؤية ريهام ولكنها لم تستطع ذلك لإنعدام الرؤية الواضحة، ثم أنصتت بإمعان فسمعت صوت انين يصدر من

تلك الأرض، فراحت تنزل بحذر شديد وهي تنادي على ريهام التي كانت تجيبها بصعوبة إلى أن وجدت مكان ريهام بأتباع صوتها الخافت المختنق حتى وصلت إليها نيفين بصعوبة بالغة، فرأتها بمنظر مروع فصرخت لا شعوريًا، وتوجهت إلى ريهام التي كانت معلقة على أحد تلك الصخور الحادة بعدما دخل أحد حافاتها المستدقة إلى جوف ريهام ومزقه، فظلت مرفوعة وهي تحاول التخلص منه والوقوف لكن دون جدوى بل كلما كانت تتحرك أكثر تنزلق نزولًا بعمق إلى أن اخترقها بالكامل.

فهرعت إليها نيفين وهي مرتبكة لا تعرف ماذا تفعل

- ما الذي حدث كيف دخل ذلك الشيء بقلبك يا ريهام؟

سألت نيفين وهي ترتجف خوفًا على ريهام المسكينة

- سمعت صوت أخي رؤوف وهو يناديني ويطلب نجدتي وأخبرني "أن اقفزي إليّ" وكررها أكثر من مرة؛ فقفزت بلا شعور أو أدنى تفكير.. ولم أفتح عيني إلا عندما ناديتني يا نيفين.. ولكني لم أجد أخي أرجوكِ ابحثِ عنه وساعديه.

بعد أن قالت ريهام تلك الكلمات بعسر بالغ وهي تتقيأ الدماء من فمها حتى لفظت آخر انفاسها، جن جنون نيفين و شرعت بالصراخ ثم لقفت أحد الأغصان المرمية على الأرض وهي تدور حول ريهام وتصيح بأعلى صوتها...

- اللعنة عليكم ماذا تريدون منا لما تقتلونا الواحد بعد الآخر.. تعالوا واجهوني الآن فلم أعد أخاف منكم فقد تعبت وأنا أرى المقربين مني يموتون دون سبب .. اللعنة عليكم.

لم تشعر إلا بضربة قوية على وجهها كانت مصدرها ذيل أفعى ضخمة تلتف حول رجلها محاولة أن تصعد إلى أعلى؛ كي تلفها بالكامل وتبتلعها، لكن نيفين قاومتها بشجاعة بالغة وبدأت بضربها بالعصا التي كانت تحملها والتي تحولت فجأة إلى افعى آخرى لفت على يدها، وبعد معركة شعواء بينهم استطاعت نيفين التخلص من تلك الأفاعي والركض وهي تضرب وتبعد كل ما يعترض طريقها دون أن ترى ما هو حتى وصلت إلى الساحل وهي تعدو كالمجنونة وتصرخ..

- كفى.. ابتعدوا عني لا تلمسوني لعنكم الله

ثم رمت بنفسها في خيمتها وأغلقت السحاب بقوة علها تتخلص ممن كان يلاحقها، جرت أنفاسها الهلعة وهي واهنة وبعد أن هدأت قليلًا تذكرت جلال فقفزت من مكانها وتوجهت نحوه؛ لترجعه الى الساحل، فقد أصبح كالطفل الصغير لا يستطيع فعل شيء بمفرده ، فوجدته يقبع في المكان ذاته الذي تركته فيه وهو يلاعب أصابعه بطريقة مستفزة وهو يردد "أنا قتلته بيدي"

فجلست أمامه واحتضنته وظلت تبكي طويلًا رهبة من ما سبق، فقد خنقها كل ذلك الرعب والقلق حتى انفجرت بكاءً كالطفل الفاقد لأمه، ثم مسكت يد جلال وساعدته بالوقوف ومشيا إلى الساحل فتذكر ريهام وسألها ببلاهة ..

-أين ريهام ؟

- لقد ارتاحت.. فالآن ستلتقي بأخيها بعد أن ظلت تبكي وتنوح للقياه.. وها هي الآن معه

أجابت نيفين وهي تزيل الدموع عن عينيها الذابلتين، ثم ضمت رأسها إلى صدر جلال؛ لتشعر بقليل من الأمان حتى لو كان وهميًا أووقتيا.

وبعد برهة غفت نيفين بعمق وهي تحتضن زوجها جلال ولم تفتح عينيها الا عند بزوغ الشمس الساطعة؛ لتجلي يومًا حزين آخر أسود بمقتل ريهام وراحت تسترجع كل تلك الأمور المريرة التي حدثت وهي حزينة وخائفة من البقاء في هذه الجزيرة، ثم برق بعقلها وجوب النهوض والبدء بالعمل لإنهاء القارب، وبعد برهة تذكرت جلال ففي آخر مرة كانت تغفو بحضنه ولكنه الآن ليس موجودا فأين ذهب؟ فكرت نيفين وهي تحاول الوقوف بصعوبة على رجليها فقد كانت مرهقة إلى حد المرض والعجز، ثم راحت تستطلع المكان بعينيها بحثًا عن جلال فلم تجد له أي أثر!

لذا قررت الذهاب والبحث بين الأدغال عنه ، وهي في طريقها إلى هناك توقفت فجأة بعد أن سمعت جلال وهو يناديها ولكن المفاجأة ان الصوت لم يكن من جهة اليابسة بل من البحر! فالتفتت بسرعة؛ لتجد جلال يطفو بالقارب ذاته الغير مكتمل الصنع، فركضت نحوه لتحذره وتخبره بضرورة العودة إلى الساحل، ولكن جلال لم يكن يسمع كان كالممسوس بل أصبح ممسوسًا حرفيًا، فراح يرسم على وجهه ضحكة متجلدة غير عارف بما يجري حوله و مدى خطورة وضعه، حاولت نيفين اللحاق به ولكن دون جدوى فقد ابتعد كثيرًا ولم يكن بمقدورها السباحة أعمق، فوقفت وظلت تراقب زوجها وهو يبتعد عنها تدريجيًا، حاولت بيأس تركيز نظرها على جلال الذي بدى غير طبيعيًا عندما صار يتحرك بحركات مخيفة كأن شيئا يمزقه من الداخل، فشرع يفشخ رأسه بقوة ثم شق عنه ما كان يلبس؛ لتظهر على جسده بقع زرقاء داكنة و لم تمر دقائق حتى تشقق جسده وبدء بالصراخ العال الذي وصل مسامع نيفين وكاد أن يخترق أذنها من شدته !

ثم انفجر جسده بالكامل ليخرج مخلوق أزرق يجمع شكله القبيح بين هيئة

رجل من الأعلى و ذيل أفعى بأشواك بالأسفل، فسبح نحو المياه مباشرة بعد أن لهبت تحت ذلك القارب شعل نار في الماء التهمت بعد برهة القارب وبقايا جسد جلال الممزق.

كان منظر واجفاً جداً لنيفين التي ظلت مسمرة مكانها وهي تراقب كل ما حدث لزوجها وجسدها يرتعش خوفًا وهولًا مما صار أمامها، وبعد أن عاد إليها وعيها أحست بضرورة الرجوع إلى الساحل و هي تغرق بيأس من الخروج من هذه الجزيرة الملعونة، بل ستظل مكانها إلى أن يأتي الجن ويفعلون بها ما فعلوا برؤوف وريهام وآخرهم جلال.

استلقت جانبًا على الرمال ضامة رجليها اليها بقوة وهي تبكي دون صوت أو أدنى حركة فقط دموع عيناها المنسابة هي الوحيدة التي تتحرك فيها، ظلت على هذا الحال لمدة تقارب الأربعة والعشرون ساعة وهي تنتظر منيتها بالقدوم أليها وفي كل مرة تتخيل فيها نفسها وهي ممزقة، ومرة آخرى الدماء تسيل من جانب منها وآخرها وجدت نفسها و هي ميتة، فكادت تصل إلى نهاية المطاف عندما تغلبها الشعور بالبؤس والاستسلام ، وبلحظة ما جلست مستقيمة ومسحت دموعها بقوة بيديها المتيبستين ثم تحدثت إلى نفسها بصوت عال يشبه الصراخ

- لا لن أستسلم لكم ولن تستطيعوا هزيمتي فأنتم أضعف مما نتصور.. وكل ما تتميزون به من قوى خارقة لن تكون مالم نكن نحن أضعف منكم .. لن أدعكم تستمدون خوارقكم من يأسي كما فعلتم برؤوف، أو من هلعي كما فعلتم مع ريهام، ولا من غضبي و تعجلي كما حدث لجلال .

ثم وقفت على رجليها هذه المرة بقوة وحزم والتفتت إلى تلك الشجرة الكبيرة

نظرة كأنما تأمرها بإرجاع القارب الذي تركته يهيم في البحار.. وبالفعل لم تمر سوى دقائق حتى عاد القارب مكانه !

توجهت اليه نيفين وصعدت على متنه للعودة إلى ديارها اخيراً، وعند وصولها إلى الجزيرة السياحية التي استأجروا فيها بيوتا لسكنهم طيلة فترة بقائهم هناك و التي كانت مجاورة لبعض وتطل على البحر الذي حملهم إلى مثواهم الآخير في جزيرة الجنون تلك، توجهت نيفين رأسا إلى بيت وائل الذي كان يجلس على شرفة منزله يحمل سيجارته بيده حاولت نيفين ضبط أعصابها ثم نادت عليه بصوتها المبحوح المتعب..

- انزل إلى هنا يا وائل.. أريد أن أتحدث معك

- آه نيفين .. كيف حالك متى عدتم من مغامرتكم الشيقة ؟

أجابها وائل وهو يتأهب للنزول للقاء نيفين، فتح باب البيت وفجأة انقضت عليه نيفين محاولة خنقه و ما استطاع إبعادها إلا بصعوبة، ثم رماها أرضًا مخاطبًا إياها بعصبية

- أيتها المجنونة ماذا دهاكِ ؟

(نعم أصبحت مجنونة! ولكني أفضل منك أيها الكاذب

أجابته نيفين باحتدام وهي حانقة عليه

- كاذب ! من الكاذب الذي تتحدثين عنه يا نيفين أنا لا أفهم شيئا ؟

سألها وائل وهو يصطنع التعجب والاستغراب ...

- لا بل تفهم يا وائل.. كذبك من أرسلنا إلى موتنا فقد وثقنا بك، ولم يخطر ببالنا للحظة أنك تكذب علينا ولماذا ؟ هكذا بدون سبب! أو ربما هي هواية

اعتدت أن تمارسها !.

أجابته نيفين وهي تحاول الوقوف بمساعدة وائل بعدما دفعها مبعدًا إياها عنه

- حسنًا.. ولكن عن أي كذبة تقصدين أنا لحد هذه اللحظة لم أفهم !

سألها وائل و هو يعترف بكذبه، ولكن لكثرة أكاذيبه تاهت عليه أي واحدة منها تقصد نيفين

- الم تكن أنت من أخبرنا بأمان تلك الجزيرة، وأن جدك كان يقضي فيها معظم وقته وكل ما قيل عنها هي أساطير الأولين فحسب، ووعدتنا أنها ستكون رحلة ممتعة لا تنسى ؟!

تحدثت نيفين بصوت و الدموع تغرورق عينيها

- نعم.. فعلت

أجاب وائل محاولًا فهم ما حدث راجيًا إياها أن تهدأ قليلًا وأن تقص عليه ما جرى لأصدقائه، و ما علاقة الكذب الذي اعتاد عليه بإجرامه ؟

كما اتهمته نيفين وهي تبكي بدموع حرة

ثم بدأت تقص عليه كل ما جرى معهم على جزيرة الجنون تلك، وكيف أن تلك الجزيرة لم تكن عادية كباق الجزر التي تحيطها بل كانت مأوى للجن و الشر، وان من يدخلها لا يخرج منها إلا جثة أو مجنونًاا، وأن مجرد تصديقهم لكلام صديقهم المقرب وائل قد أودى بحياتهم .

صُدم وائل بعد ما سمعه من نيفين ولكنه لم يرد أن يكون المذنب أمامها؛ فدافع عن نفسه بكلمات آثارت نيفين أكثر.

- ولكن أنا لست المذنب.. أنا لم أجبركم على الذهاب، أنتم من اختار المغامرة فلا تضعي اللوم علي ولو انني حزين جدًا على ما جرى لجلال ورؤوف وريهام و لكنني لست مذنبًا اطلاقًا يا نيفين ولا اسمح لك بإتهامي بتهم باطلة

- أسمع يا وائل أن ما قلته وما أخبرتنا به من أكاذيب غير مهم فهو مجرد كلمات إن كانت صادقة أم كاذبة فلن يكن لها تأثيرا يصل إلى حد الموت، ولكن دعني أذكرك بكذبة أبعدت بني البشر آجمعين عن الجنة، وجعلت مصيرنا سكن الأرض مع خلق لا يشبهونا ولا نشبههم، لم يكذب آدم ولكنه صدق كذبة إبليس؛ فأخرج من الجنة بعقاب صارم لكنه وقتي؛ إن ابتعد عن الشيطان ووسوسته سيرجع إلى جنته ، أما إبليس فقد لعن إلى يوم الحساب ولن تكتب عليه الرحمة أبدا؛ بسبب كذبة اختلقها لإخراج آدم من الجنة.

والآن يا وائل أتظن ان كذبتك تلك لم تكن ذات اهمية ؟

بل أن كذبتك هي من قتلت رؤوف وريهام وجلال، وليس كذبة شياطينهم من الجن، فنحن من إتبعهم وتعدى على شرورهم وأرضهم وذلك بسبب كذبة من الشيطان ولكن الشيطان هذه المرة كان إنسي وهو انت يا وائل!

خرجت نيفين من هناك وهي تمسح أنهر الدموع التي أغرقت عينيها تاركة وائل وهو يشعر بذنب كبير حتى صار يتمنى الموت قبل أن يكون قاتلًا ولمن ؟! لأعز اصدقائه وعن غير عمد بل عادة اتخذها في تسيير مجرى حياة بأكملها مبنية على كذب وستنتهي بكذب .

ظلت أشباح أصدقائه تراوده في يقظته ومنامه، كان يعيش اياما صعبة جدًا حتى قرر الذهاب لإستشارة طبيب نفسي، وبدأ أول حديثه بكذبة كما إعتاد دوما..

- أنا أرى أشباح أصدقائي المقربين الذي قضوا نحبهم بحادثة غرق وسط البحر وهم يريدون مسكي لإيذائي ولكثر ما صرت أراهم في كل مكان باتوا كأنهم يعيشون معي .. أيها الطبيب أنا لست مجنون ولكني سأجن إن ظل الحال هكذا.. فأرجوك ساعدني .

- حسنًا.. أتشعر بذنب معين تجاههم يا وائل؟ أي إنك لم تتشاجر يومًا أو تؤذيهم كي يتنامى هذا الشعور بالذنب عندك بعد موتهم ؟

سأل الطبيب النفسي وهو يدون بكراسه كل كلمة يقولها وائل معتقدًا أن كلامه صحيحًا وموثوقًا كما اعتاد مرضاه أن يفعلوا بإفصاحهم عن مكنونات قلبهم لطبيبهم النفسي؛ لأجل مساعدتهم لنفسهم لا لغيرهم.

-(لا أبدًا أيها الطبيب لم أتشاجر معهم يومًا، ولم يحصل مني أي شيء ممكن أن يؤذيهم فهم أصدقائي المقربين.

أجاب وائل بثقة.

وهكذا استمر مسلسل كذب وائل ولم يتعظ أبدا مع كل ما حصل معه ، حتى حين حاجته إلى المساعدة من الطبيب النفسي كذب عليه، وجعل العقدة من البداية في علاجه واستحالة مساعدته، فهذا هو الذي يكون الكذب جزء لا يجتزأ منه ولا يتركه إلا بموته أو ربما يكون هو المسبب لموته كما سيحدث لوائل .

ففي أحد الليالي بينما كان وائل مسترخيًا نائما مطمئنًا في فراشه الوثير ظهرت أمامه "جايا " وهي تحمل عصاها الطويلة بيدها البشعة، ولأول مرة تتحدث بهدوء لضحيتها، ووجهها مغطى بوشاح أسود طويل

- أنت وائل ؟

سألت " جايا " بصوت مفزع خشن

- لا.. لست أنا.. إنه ينام في الغرفة المجاورة أنا خالد، إذهبي إليه فهو يغط في نوم عميق، وأنا.. وأنا ساترك لك البيت وأخرج كي تفعلي به ما تشائين اجابها وائل بخبث وخوف

- أنا أريد صديقاً لوائل أن يقوم بقتله كما فعل هو بأصدقائه عندما أسقطهم في حفرة أكاذيبه.. فهل تساعدني على قتله فأنا جنية لا أستطيع قتله بيدي إن لم يفعل ذلك إنسيا مثله بوسوسة منه أو بيده فهل تستطيع فعل ذلك لصديقك وائل ؟

أجابته "جايا " بدهاء

فكر وائل قليلًا وراح يضع نفسه على كفة ميزان وصديقه خالد على الكفة الأخرى فمن سيختار ؟

قرر بالتأكيد إكمال كذبته على الجنية وقتل خالد؛ للتخلص من الموت المحقق له؛ فوافق على قتل خالد وطلب منها مساعدته بإخفاء جثته عن الأنظار كي لا يقع بالمشاكل، وبالطبع وافقت " جايا " الخبيثة وأشارت عليه بالذهاب إلى الغرفة المجاورة لقتل صديقه، وأول ما فتح الباب تفاجأ بوقوف خالد أمامه وهو مشمئز من وائل وخسته وراح يتحدث إليه بلهجة توبيخ وتأنيب واحتقار..

- لم أكن اعلم أنك خسيس هكذا يا وائل! ولكن هذا خطئي أيضا فمن يستطيع الكذب بمهارتك لا يصعب عليه أن يقتل ويقف أمام القاضي وهو يحلف أغلظ الأيمان أنه بريئ!

اللعنة عليك.. وأنا من سيتركك لتواجه مصيرك مع هذه الجنية اللطيفة

وهنا ظهرت" جايا "الخبيثة و قد بدأت بضربه بعصاها الطويلة ووائل يصرخ مستنجدًا، ولكن الأبواب قد أقفلت والشبابيك كأنها تساوت مع الجدران؛ لتظل" جايا" تعذب وائل وهي تضحك بخبث و تخاطبه بصوتها الناشز الذي يمزق الآذان..

– كنت أعلم أنك وائل أيها الغبي ولكني أردتك أن تموت وأنت كاذب كي يكون ما سآخذه من رأسك الغبي نافعًا لنا أكثر؛ كي نضمن الإستيلاء على سلطة الشر المطلق وانتزاعها بخبثنا من ملك شياطين الجن.

كانت كل ضربة بعصاها تلتصق بجسد وائل ثم تسحبها بقوة لتقلع جزء منه حتى مُلأت الغرفة بدمائه المتناثرة إلا رأسه كانت تتقصد أن تتركه؛ كي يكون له النصيب الأكبر في غرف كل خصاله السيئة وغرزها برأس ولدها "شرذم " لكي تبدأ النهاية.. نهاية الحكم والسيطرة الشيطانية للإنس دونا عن الجن .

****

ملوك الشر" شرذم" و"بافومت "

مرت أشهر قبل أن يتهيأ " شرذم " لقتال ملك الجن السفلي، كان موعدا تحدث عنه جموع الشياطين من الجن والإنس؛ لمعرفة ملكهم الذي سيتوج بتاج الشر المطلق والبوائق والضلال.

ظلت " جايا " تجمع خصال النحس لابنها كي يكون جاهزا للقاء الأضخم في عالم الشياطين ! وجاء اليوم الموعود.. كان يوم نحسا مطفئ الضياء تهب فيه صرخات أعاصير تتهيأ للأسوأ؛ فتجمع الشياطين حول ذلك المكان الذي كانت تفوح منه رائحة الدمار والدم والألم مكانا يشبه الوادي الكبير تحيطه النيران من جوانبه، ويعلو فوقها أكوام ترابية، فكل من تلك الشياطين المتنازعة قد خلق من تلك النيران أو من ذلك التراب.

وصلت "جايا" و معها ملك شياطين الإنس "شرذم "، كانت هيئته قد اكتملت، وأصبح جسده ضخمًا بلون بني غامق يكسوه ما يشبه الجلد ولكنه متشقق تخرج الديدان منه والدماء من أجنابه، له رأس كبير جدا يحوي أفاع تموج مع كل حركة تلدغ بعضها بعضًا؛ فتقوى وتكبر أكثر مثل صفات السوء التي جاءت منها بالأصل كلما اكتسب أحدهم صفة سيئة ما تجر معها صفات سيئات أخرى وأخرى إلى أن يكون شريرًا إن لم يكن هناك رادع الضمير يردعه؛ ليقف عند باب مخافة الله.

دخل ماشيًا على رجليه القبيحتين، بخلاف ملك الجن الذي جاء طائرا على أحد السحب السوداء المتجهمة، حتى نزل وهو بهيئة لم يعتادوا رؤيتها، فوقف بقوة على رجله الواحدة ذات المخالب الطويلة بشكل مشوه لا تميز أصابعها من عظامها، له جلد أزرق مخلوط بلون أخضر داكن كلون المياه

الأسنة وتفوح منه نفس تلك الرائحة النتنة وربما معها رائحة أقرف تحوي على خبث وجرم وفساد و معاصي، ووجهه كان أسحما فاحم عبوس تبرز أسنانه لا يعرف مغرسها من منتهاها، أقرع الرأس يشطر رأسه ضربة سيف.

نادت " جايا " بعولة مدوية تخاطب ملك الجن ...

- يا " بافومت " جئتك اليوم بملك شياطين الإنس؛ لمواجهتك ولنثبت للكل من هو أشر من الثاني وأدهى، ولمن سيكون الفوز بالجحيم وقعوره ألشياطين الإنس أم لشياطين الجن ؟ فهات ما عندك .

دوى إرزيز عال بصوت انفجاري يصدر من ملك شياطين الجن بافومت وهو الابن الأكبر لإبليس اللعين، وهو اقدم الجن وأكثرهم خبثا خلق منذ بدء الخليقة وأخذ زمام الشر على عاتقه فأصبح الابن الضال لإبليس الملعون الذي بات يعتمد عليه بقيادة شياطين الجن ونشرهم بالأرض؛ لترسيخ الشر بعقول الإنس ليكونوا شياطينًا تبعًا للجن من شياطينهم !

- أنا ملك الشرور منذ أن خلق الكون، توارثنا معاصينا من جدنا إبليس لعائن السماء و الأرض عليه، وأنا اليوم جئت مكانه أصارع ملك شياطينكم، أنا من يأمر جنودي بدخول بيوتكم والتلاعب بعقولكم وحثكم على المعاصي ، نحن من يخاف منا طفلكم وشيخكم وقويكم وضعيفكم، موجودين على مر الزمان وندخل إلى كل الأديان لا يقف بوجهنا شيء إلا من خاف مقام خالقنا ليس لنا عليه سلطان، ولكننا مكنا في هذه الارض لضلالة بني البشر منذ خلق آدم و ليومنا هذا، وسنظل نوسوس لكم حتى نُحيد كلّاً عن دينه وتبقى الأرض لشياطين الجن فنحن الأقوى ودوننا لن يكون لكم من السعير مكانا

فلن تكونوا شياطين دوننا.

بعد هذا الكلام البغيض الذي منح قوة لشياطين الجن و ملكهم، ضرب بافومت بسوطه الناري العظيم " شرذم " على ظهره فأوجعه حتى تطايرت النيران من كل صوب وحدب تحرق هنا وهناك تلسع شياطين الإنس بقوتها وتلهب النيران؛ فوقف شرذم بعسر بعد تلك الضربة الموجعة وهو يحدث ملك الجن بصوته الناشز ...

- أنا "شرذم" نحن من كان لنا النصيب الأكبر بنشر المعاصي وليس أنتم كما تدعون، فشياطيننا الإنسية يعمدون الإيذاء لبني جنسهم هذا ما لم تستطيعوا فعله رغم كل الشر و الفساد فيكم، فلم نسمع منذ بداية الخليقة ان تنازع الجن فيما بينهم لأجل مُلك أو أرض أو مال، ولم نرى يومًا حروبًا طاحنة شنت بين بني جنسكم لم تشهد الأرض ارتواء للدماء بفعلكم بل كان كله من أفعالنا وجرائمنا، خربنا الأرض وقطعنا النسل وشوهنا الأديان، أما أنتم لم يكن لتشويه الدين لديكم متسعًا إلا من اولئك السحرة والدجالين الذين تعلمونهم السحر و تدنيس الدين، أما نحن فلنا الفضل الأكبر فقد دخلنا حروبا باسمه وقتلنا ملايين باسمه واغتصبنا وسرقنا ونحن نلتحف الدين غطاء لأفعالنا حتى جعلنا الكارهين للأديان أكثر بكثير من أولئك المسلطين من السحرة فلنا تعود أكبر المعاصي يا "بافومت ".

وعند انتهاء كلماته المقيتة تلك ضربه بأفعى النفاق والتي كانت الأقوى والأكبر بين أخواتها، ثم تلقى ضربة قوية أخرى من أفعى الإجرام والقتل طرحته أرضًا حتى تناثرت أشلاؤه الفاسدة؛ فهرعت الشياطين إلى تلاقفها والتهامها.

وهنا خرج "بافومت" من قشرته التي كان يرتديها؛ ليظهر كائنًا بقبح لا يوصف يجمع هيئتي الرجل والمرأة معًا يخُفى عضوه الذكري بدماء جارية في نصف جسده المشوه، وفي النصف الآخر أثداء مبتورة، و راح يحادث " شرذم " بمكر وبصوتين مزدوجين..

- نحن أول من فعل اللواط و"ليليث" أختنا من علمت نسائكم السحاق،وذلك من أرذل الصفات عندكم، ولقد ربحنا هذا بدناءتنا وخبث أفعالنا، ولنا بهذا غاية تعسر عليكم فهمها؛ فما أردنا من هذا إلا قطع النسل والرضى بالشنع

و ها أنت اليوم موجود يا "شرذم" بفعل فجوركم و وسوسة جندنا، فلولا الاستعانة بالجن لعمل السحر الأسود لأباك لما صار(زومبي) نصفه الحي منا ونصفه الميت منكم فتغتصبه أمك " جايا " لتخرج أنت نتاج المعاصي والخبائث يا شرذم.. فهل لكم فعل أقبح من تلك السفالة دون مساعدتنا والاستعانة بنا ؟ !

فضرب شرذم و جايا بشعل للنار اللاهبة؛ لتحرق اجزاء من جسديهما المتعفنين، نفض " شرذم " الرماد وأكوام القرف المتفحمة عنه ثم وقف وهو يتحدث بسفول و وطاءة ...

- نحن من غلبت شهوتنا عقولنا ولم يكن لكم الفضل في هذا؛ فالشهوة غريزة موجودة لدينا لبقائنا ولكننا فضلناها على كل شيء وفعلنا الزنى وتباهينا به حتى غلبت شهوتنا المحارم و خرجنا متباهين بلواطنا وسحاقياتنا فلم نبقي للحياء شيئا، إن كنتم أنتم من توسوسون نحن من فعلناها علانية وخرج المتثقفون منا بإلقاء خطب طويلة عن حرية الرأي والتحرر حتى استطعنا

توجيه العالم بقبول الجنس الثالث، و لولا شهوتنا تلك التي لم تفطم بحلال لأصبحت محاولاتكم بوسوستنا كلها فاشلة .

فخرجت أفعى رفيعة من رأس شرذم وانطلقت مباشرة نحو بافومت؛ لتخترق

جسده الملتهب ولم تكن تلك الأفعى إلا أفعى الشهوة، صرخ ملك الجن صرخة أثارت الجنون لكل الموجودين حتى أراد بعضهم التهام البعض الآخر من شدة البغض و الاهتياج ثم قال:

- جندنا من الجن من وسوس لبشركم بالسرقة وحب المال وحب الدنيا وتفضيلها على الآخرة حتى مضيتم تتقاتلون وتظلمون و تسفكون دماء حتى المقربين لأجل الحصول على الاموال، وكنا نعدكم بالفقر إن لم تسرقون ونجعل الأغنياء غير راضين عن ثرواتهم؛ فيصبحون أكثر طمعًا من المحتاجين، زينا الحرام من الأموال لكم وكرهنا الحلال للبشر؛ كي لا يقنعوا ويكفروا، وأوهمناه بقليل ملكه ودنو فقره ، وأنسيناه كل نعمة أنعمها الخالق له كي يكون إلى صفوفنا في الجحود والإنكار.

فلطم "بافومت " بعصاه ذات الشوكة الثلاثية رأس "شرذم" ضربة فصلت راسة عن جسده، فكانت له حجة قوية بأكبر المعاصي أو الغاية من كل المعاصي هي حب الدنيا.

ولكن " شرذم" وقف بعد أن أعادت " جايا " رأسه المقطوع وصرخ رأسا على "بافومت " بكمد واغتياظ ...

- نحن عشنا عيشة ضنكة ونملك أكداس الأموال حتى جمعناها وأحببناها أكثر من ذريتنا، نحن من تصارعنا على كراسي الحكم و ذبحنا الأقربين

للفوز بالمنصب و الرئاسة و المال؛ كي نتبجح أمام الناس، نحن من قبضنا على أيدينا و لو كان معنا مال قارون، فلم يكن لكم الفضل في محبتنا للمال وإني أرى أن الاموال وحبها الذي نخفيه داخلنا هو الطريق إلى كل ما قلت عنه من حب الدنيا ، فالغني يريد أن يعيش ولا يموت أبدا، والفقير يجد في هذه الدنيا سجناً عاتٍ له !

فوقف " شرذم " وهو يأمر أفعى البخل بالخروج ولدغ ملك شياطين الجن ولكنها أبت أن تقذف من سمها خوفًا و بخلًا منها ان ينفذ ما عندها !

فبخ " شرذم " من سمومه نحو " بافومت " فخرمت جثته الضخمة بكل نقطة وقعت عليه، وقف " بافومت " وقد بان عليه التعب وأطرق رأسه منخذل و هو يقول بصوت مديد ...

- لقد هزمتني يا " شرذم " وأنا سأتنازل لك عن ملك الجان لتصبح أنت ملك الشر المطلق .

ملأ الفخر و الزهو " شرذم " ومشى مختالا نحو " جايا " فبرك متكئا عليها حتى ارتخت قواه وخارت فقد صار النصر حليفه، وإن مُلك شياطين الجن والإنس سيكون له بعدما تفوقت معاصي شياطين الإنس على شياطين الجن!

ولكن " جايا" أحست بشيء غريب، فنصفها الغير أنسي كان يخبرها بخبث الموقف ولكن حب الراحة ل " جايا " والتخلي عن مهامها في رؤية ما يخفيه الجن وتجنب حيلهم حالت دون ذلك، فأنقض " بافومت " نحو "شرذم" حتى قصم ظهره قسمين وهو يقول متبجحًا ...

- نحن من علمناكم الكذب يا بني البشر فلا تنكروه، جدنا إبليس أول مخلوق كذب على آدم وأخبره أن له الخلود إن أكل من تلك الشجرة، وآدم صدق

مثلما فعلت أنت الآن لأنكم لازلتم تصدقون أكاذيبنا التي تعودنا أن نقصها عليكم ولم تعتبروا على مر الزمان بقصة إخراج جدكم من الجنة .

فطار " بافومت " متباهيا بفوزه في هذه المعركة مفتخرا بتغلب شياطين الجن على شياطين الإنس.

فعاطت " جايا " بقوة على "بافومت " وهي تتوعده بالإنتقام..

- لن أجعلك تهنئ بلقبك هذا أن استطعت الحصول عليه اليوم وسابقًا فسأنتزعه منك مستقبلًا.. فنحن من سيكون له مقام الشر الأكبر والأيام القادمة ستثبت لك ذلك يا " بافومت "

فبدأ "بافومت " بالتلاشي تدريجيًا من أمام الجميع وهو يضحك بمكر ويخاطب "جايا "؛ ليغيظها أكثر بفوزه واحتفاظه بلقب ملك الشر لشياطين الإنس والجان ...

- أيتها اللئيمة ما حصلت عليه بفضل خبثي وكثر معاصي ولن تستطيعين يومًا إنتزاع لقب الأشر لشياطين الجن فنحن سنظل أصحاب المعاصي

و الموبقات الأوائل، وجدي إبليس وذريته على رأسهم، ولكني قد أحببت العراك مع من هم أضعف مني، لذا إجمعي شياطين الإنس واحزمي متاعك من المعاصي وأنا سأكون على رأس أخوتي من أبناء إبليس للقائكم والنيل منكم كي لا تعودوا تتجرؤون علينا بالقول أو الفعل، فنحن شياطين الجن أشر مخلوقات في الكون.. فأغربي الآن عن وجهي يا " جايا " ولنا بعد سنين لقاء .

رجعت " جايا " وهي تجر أذيال الخيبة و الهزيمة ،مؤنبة "شرذم" بأشرس الكلمات و أقساها؛ لتفويت فرصة التغلب على "بافومت"، فتحدثت بصوت بشع حاد بنبرة تملؤها الحقد والغل ...

- إسمع أيها العفن "شرذم " لابد لي الآن من طبخ طبخة اضع فيها كل ما لدينا من قوة وسقيها لملك الجن؛ كي نحصل على الشر وقواه، لذا ستكون رحلتي عويصة وطويلة ولابد لي من الإنتقال لعالم آخر مواز لعالمنا ولكنه

يقع ضمن الماضي السحيق؛ لأجلب تلك الخصلة التي إزدهرت في ذلك العصر وهي ما فاتني حقا لمواجهة "بافومت" فهي أنكر الخصال التي إمتاز بها بنو البشر و أبغضها، فجلس الإثنان يخططان للوصول إلى تلك الخصلة وهما محاطان بالهم والغيرة من تلك المكانة التي حصل عليها ملك شياطين الجن ولم يبقى على تتويجه والفوز بلقب الشر المطلق إلا سنوات معدودات، وبعد برهة وجدت " جايا " سحرًا سفلي خطير لإستحداث ثقب أسود والولوج عبره؛ لتشتيت الزمان والمكان ليتكون (الزمكان) عبر اثارة الأنتروبيا بفعل حركتها السريعة التي تفوق سرعة الضوء؛ فتكونت ديناميكية حرارية خلقت ثقب أسود يسمح لجايا بالإنتقال عبره إلى بُعد آخر من هذا العالم، فاختارت أن تذهب إلى القرن السابع عشر حيث كانت الحروب بين القادمين الجدد من البيض و السكان الأصليين من الهنود الحمر على أوجها .

" رأس المعاصي"

حين مرت قافلة الزعيم " إلكا " في أحد السهول الخضراء ذات العشب الاخضر النضر، حيث تختبئ بين جحورها الأرانب السمينة ذات الفراء الأشهب الذي يختلط للناظر مع فروة وجلد الظباء المنتشرة في ذلك المكان الغني بمائه وحيواناته المتنوعة وزرعه الوفير.

كل ذلك يقع ضمن الجنوب الغربي من ولاية داكوتا التي كانت تحت سيطرة القادمين الجدد، ذلك الخليط المتنوع من الأوربيين القادمين من هولندا وايرلندا وفرنسا وغيرها من الدول التي أنتقل أفرادها مع عوائلهم للبحث عن أراض خصبة و صالحة للعيش أكثر، والسبب الأهم رغبتهم بالخلاص من حكم الإقطاعيين الذي يسيطرون على أراضيهم؛ فهاجرت مجاميع كبيرة إلى الأراضي الأمريكية من الباحثين عن الفرص للثراء؛ عبر الاستيلاء على أراض السكان الأصليين من الهنود الحمر و سلب ما يملكون من المواشي والخيول وطردهم بعيدًا في أراض مقفرة نائية.

وكان القائد "صاموئيل " وهو رائدا في كتيبة الفرسان الأمريكية على رأس الجيوش التي كانت تحرس ذلك المكان وتؤمن النفوذ هناك للحيلولة دون وصول الهنود الحمر مناطقهم، والذي اعترض قافلة الزعيم" إلكا " وخاطبه بعنفوان وتعالٍ...

- لما مررتم من هنا أيها الزعيم؟ الم نكتب المعاهدات بيننا وبينكم لتكون هذه المناطق ضمن حدودنا ؟

فأجابه الزعيم " إلكا " بصوته المبحوح بأدب لا يخلو من الثقة بالنفس..

-لأنكم لم تحترموا أي اتفاقية بيننا صغتم المعاهدات بما يناسبكم وتركتم

لنا الأرض القفر حتى الحيوانات لم تستطع العيش فيها وأنتم تعلمون يقينا أننا نعيش على الصيد، نعلم إنكم أيها البيض تريدون إبادتنا وسرقة أراضينا ولكن هُيء لكم ذلك، لذا سنحاربكم لأخر قطرة دم تجري في عروقنا لأنكم لم تنصفونا يوما

اجابه الزعيم "إلكا " بقوة وبسالة وهو مستعد للموت في سبيل أن تعيش قبيلته، وبعد هذه الكلمات التي لا تخلو من التهديد أمر الرائد صاموئيل بنزع السلاح منهم وهو أمر جلل بالنسبة لمحارب قضى عمره وسلاحه لا يغيب عن ناظره بل اعتبر عند بعض القبائل رمز للرجولة ومفتاح لها، فيكيف بهؤلاء أن يجردونهم من أسباب وجودهم ؟!

- سيدي أرجوك لا تفعل هذا.. فأنا لدي أصول من(سيوكس) وأعلم جيدا ما يعني فعل هذا الأمر بالرجال السيوكس، فأرجوك أن تقلع عن قرارك هذا و إلا ستقع مجزرة هنا.

توسل " شانجرو" المترجم والمستكشف الذي كان يرافقهم في رحلاتهم عبر تلك السهول للرائد صاموئيل لآنه علم مدى خطورة الأمر وجديته .

استفز كلام " شانجرو" الرائد صاموئيل واعتبره تهديدًا آخر، وفكر بغباء أوقع الطرفين في مشاكل لن تحل بعدما أمر جنوده بنزع السلاح عنهم

واقتيادهم إلى واد قريب وبناء معسكرا لهم واحتجازهم هناك، كان عدد النساء والأطفال يفوق عدد الرجال ولكن هذا الأمر لم يقف بوجه المستعمرين، مرت الأوقات على قبيلة " إلكا " بصعوبة فقد تناقصت المؤونة التي كانت معهم وما زاد الأمر توترا هو منعهم من الصيد، كان القادمين الجدد يستعملون أساليب بشعة؛ لإيقاف هجوم الهنود الحمر عليهم

بعد إن استباحوا أراضيهم و سلبوا مواشيهم، حتى صارت أعداد القادمين الجدد بتزايد مستمر بعد أن إنتقل الأوربيين إلى أمريكا الشمالية والسكن فيها مع عوائلهم، فلم يبق للمستضعفين من الهنود الحمر إلا التسليم وأحيانا قليلة هجوم على أراض البيض، ولكنهم يقابلون بكثير من العنف كما حدث في ذلك المكان الذي يدعى "الركبة المجروحة "، الذي كان يقع بعد الوادي الذي تم حجز قبيلة "إلكا " فيه، حيث امتددت حمى نزع السلاح عن السيوكس إلى قرية تدعى قرية " المشعوذ" بعدما ظهرت ما يسمى " برقصة الأشباح " وهي بدعة ابتدعها عجوزًا يدعى " ساكورا "، مدعيًا أن من يلبس قمصان بيضاء عليها ما يشبه الختم صنعه بيديه سيكون محاربًا في حياته وبعد موته سيظل كالملاك الحارس لقريته واهله ويظل بينهم خالدًا ولا يفنى؛ لشد عزيمة الرجال وزيادة شعورهم بالدفاع عن أراضيهم والنيل من المحتل، وخصوصا عندما وجد أن موتهم سيكون حتميًا على يد هؤلاء البيض الذين قاموا بنصب المدافع على قمم الجبال موجهين فوهاتها إلى قريتهم تحسبا لأي طارئ، لذا ابتكر ذلك العجوز الحكيم تلك الخدعة؛ ليكون الموت بعز أكرم من الموت بمهانة .

فوقف "ساكورا " وسط القرية وهو ينادي على رجالها ...

- إسمعوا جميعكم يا معشر الهنود الحمر موطن العز و الكرامة.. قد حلمت ليلة البارحة بأحد القديسين وقد اعطاني هذا الختم كي أختمه على قمصانكم البيضاء؛ لأبعاد شرور البيض عنكم ، ومن مسه من ذلك الشر شيئا لن يموت بل سيبقى خالدًا كملاك حارس يعيش بين اهله .

وبالفعل صدق الجميع ادعاء ذلك العجوز وهرعوا إلى جلب قمصان بيضاء كي يختم عليها بختمه المبارك كما يدعي .. ويعتقدون

لذا كان القادمين الجدد يرونهم من بعيد كأنهم أشباح تتحرك بعدما ارتدوا قمصانهم البيضاء للحماية من شرور الجنود البيض، فبدأت المراسلات والبرقيات تبعث على وجه السرعة بوجود حركة غريبة ومقلقة اسموها " رقصة الاشباح "، ثم زادوا عليه كثيرًا من التلفيق بالباطل؛ للهب الأوضاع والإنتقام من الهنود الحمر، فاعتبره القادة الكبار وضعا يصنف ضمن الطوارئ ؛لانهم كانوا يخافون دومًا من هجوم الهنود الحمر وخصوصًا عند تجمعهم و اتفاقهم على شيء ما، فأكثر ما كان يخيف الجنود هو الشراسة التي تصنف ضمن الشجاعة والتي تميز بها الهنود الحمر، فكان واحدا منهم يبيد العشرات إن كانوا عزلا ، ولكن التطور في السلاح ووجود المدافع سهلت أمر المحتلين بالسيطرة على الأوضاع .

قامت الحكومة الأمريكية بإرسال الجنرال " نيلسون مايلز " وهو احد القادة المحنكين الذين كان لهم دور كبير في إيقاف هجوم المستوطنين عليهم، فقد كانت سيرته دموية عنيفة مع الهنود الحمر صيتها ذائع عبر السنين وليومنا هذا، سجل اسمه ضمن مجزرة "الركبة المجروحة ".

لذا فور تسلمه لمقاليد الأمر أعطى الأوامر الصارمة بتجريد السلاح من أي رجل مؤهل لحمل السلاح، ومن يعترض عن تسليم سلاحه يعدم على الفور؛ لأنه سيكون خائنا ومن المخربين، وبالفعل بدأ الجنود بأخذ السلاح من رجال القرية حتى وصلوا لرجل وقف أمامهم ماسكًا بندقيته بيديه بثبات حاسرا أجفانه ومركزًا نظره عليهم .

- سلمنا السلاح أيها الهندي .. هيا نفذ الأوامر بسرعة

صاح الجندي بأعلى صوته وهو يأمر الرجل بالتخلي عن سلاحه، ولكن الغريب بالأمر رغم صراخ الجندي على الهندي الاحمر لم تتحرك شعره

منه ولم يفكر بمد يده لتسليم سلاحه، بل ظل واقفا بالثبات ذاته وكأن الأمر لا يعني تعرضه للموت المحقق إن لم ينفذ الأوامر.

- سلمنا سلاحك بسرعة.

صرخ الجندي بصوت أعلى من سابقه، و رغم ارتفاع صوت الجندي وزيادة حدته لم ينفذ الهندي الأوامر!

انفعل الجندي كثيرًا وبدا الخوف ظاهرًا في عينيه وهو يتوقع هجومًا مباغتا من الهنود الحمر؛ فرفع السلاح بوجهه وهو يستعد لضربه، وهنا صاح رجل كان يقف خارج الحانة حيث دار الحوار بين الجنود والهندي الأحمر؛ فركض نحو الجندي ولكن من يقف بالخارج منعه من الدخول فتوسل اليهم وهو يقول لهم

- إن الرجل لا يسمع الكلام فهو أصم

ولكن المصيبة كانت تكمن أن الرجل تحدث بلغته الأم ولم يتحدث الإنجليزية فلم يفهم أحدًا ما كان يقول،

نظر الجندي إلى الهندي الذي يقف خارجًا و هو يتوسلهم للدخول ومن شدة خوفهم من قوة المستوطنين وجسارتهم، ثار جنونه فجأة ظنا منه انها محاولة للهجوم تم تدبيرها؛ ففتح النار على الرجل الأصم وصديقه الذي يقف خارجًا،

فعمت الفوضى أنحاء البلدة وبدأ اطلاق النار من كل صوب وحدب، فعلى الرغم من أن معظم رجال تلك القرية كانوا عُزل إلا أن هناك نفر قليلًا من خبأ سلاحه و شرعوا بالضرب على الجنود، ولكن رغم ذلك تظل الكفة غير متوازنة، فهؤلاء الجنود هم ضمن كتيبة الفرسان التي تضم المئات والهنود الحمر الذين يواجهونهم لم يكونوا إلا عصبة مطاردة و مختبئة .

وخلال دقائق من تبادل إطلاق النار بين الطرفين أعطى الجنرال " نيلسون مايلز " أمر قاسيًا ومتسرعًا حتى عند البعض من البيض، فقد أمر بضربهم بالمدافع تلك التي كانت متصدرة على قمم الجبال ومتهيئة لخطف أرواح المئات من البشر، وبالفعل بدأ بضرب قنابل المدافع على القرية وما جاورها من الوادي ذاك الذي احتجزوا فيه قبيلة " إلكا " فبدأت الإبادة الجماعية بحق النساء والأطفال والرجال العزل.

ركضت النساء الهنديات وهن يحملن أطفالهن تحاولن الهرب من ضرب المدافع نحو الغابات التي تحيط بذلك الوادي؛ للإختباء والوقاية من الرصاص الذي صار كالمطر الغزير على رؤوس المحاصرين من الهنود الحمر، ومن ضمنهن إمرأة كانت حامل وعلى ذراعها طفل لم يتجاوز السنتين وفي يدها الأخرى تقبض على يد ابنتها "أيلا" ذات الخمس سنوات فركضت إلى شجرة كبيرة تحوي على شق صغير داخلها، وضعت ابنها أباشي وابنتها أيلا داخل ذلك الشق؛ لحمايتهما من الجنود، ثم جعلت جسدها سدا لذلك الجحر، فوجدها حد الجنود البيض وركض نحوها لقتلها، فرفع البندقية بوجهها ثم نظر إليها عن كثب فلفت نظره جمال عينيها و بريقها الآخاذ، كانت تقف ببسالة تأبى التنحي عن مكانها حتى وإن ماتت للذود عن أطفالها الصغار .

أضفى ذلك الشموخ والعزة جمالًا إلى جمالها مما أتاح لغريزة الجندي الحيوانية بالسيطرة على دماغه، فرمى البندقية من يده وتقدم نحوها محاولًا النيل منها، ولكن تلك المرأة الشجاعة لم تكن لتسمح له ؛فدافعت بكل ضراوة عن نفسها و راحت تبعده عنه بيديها و رجليها ولكن ذلك الوحش الذي غاب الحس عنه لم يكن يوقفه شيئا، فغرزت أظافرها بوجهه وهي تصرخ

للاستنجاد بأحدهم ولكن ما من مغيث، فشعر ذلك الوحش البشري بألم في وجهه، فسلت الحربة من جرابها وطعنها في بطنها فزهق روحها وروح طفلها الجنين ثم اكمل ما كان يفعله بدناءة وهي ميتة على مرأى ومسمع أولادها الصغار.

وعند انتهائه من جريمته الشنعاء بالقتل والإغتصاب إبتعد عن جثتها التي وقعت أرضا؛ ليظهر ذلك الشق في جوف الشجرة وفيه الصغيرين أباشي وإيلا وهما يتباكيان على أمهما الغارقة بدمائها أمام أعينهم؛ فركض الطفلان نحو أمهما واحتضانها ليحتميا بها من شر ذلك الجندي الأبيض، فلا ملجأ لهما غير أمهما ولم تهز ذلك الجندي شعرة من ضميره الميت حتى أخذ بندقيته و وجهها نحو أباشي مصوبا على رأسه الصغير حتى تناثر دماغه فوق جثة أمه، وأخته تنظر إليه مصدومة جازعة من ذلك المنظر المخيف، ثم وجه الجندي نظره إليها مخاطبا إياها بلئم

- أيتها الصغيرة الجميلة لديك نفس عينا أمك أتودين البقاء معي أم تريدين اللحاق بأمك وأخوك ؟

فلم تجب الصغيرة من شدة خوفها وهي تصرخ وتبكي و تتوسله أن يتركها ولكنه أعاد السؤال عليها بنبرة خبث وشهوة؛ فصرخت بوجهه ...

- أنا أريد أمي..أنا لا أريدك

فغضب الجندي منها وصوب البندقية بين عيناها مباشرة وأطلق النار بكل برودة أعصاب وهو يتضاحك فخرًا، وترك الأم وأولادها جثثا وراح يقتل البقية ، كانوا عندما يجدون أحد الجرحى من أي فئة من الأطفال أو الرجال أو النساء يجهزون عليه فورًا دون ادنى شفقة او رحمة !.

وقفت "جايا " على أحد قمم تلك الجبال وهي تراقب كل ما يحدث من وحشية وظلم وهي تشعر بالزهو والنصر، تتشكرلشياطين الأنسية لسوء أفعالهم ودناءتها وهي تقول:

- من يكونوا شياطين الجن ليفعلوا ما فعلناه نحن ؟ فقد أقيمت مجزرة في غضون أقل من الساعة، مَن مِن الجن يستطيع الوسوسة وفعل السوء في هذا الزمنِ القياسي؟ نحن ملوك الشر وليس الجن، والآن سأتوجه إلى قائدهم المدعو نيلسون مايلز لأقتلع شعره الجميل الذي يحوي أبغض الخصال وأنكرها، إنها خصلة العصبية و العنصرية، وهي أول معصية صارت منذ بدء الخليقة ... إنها الِكبَر، فكل ما يمر به الإنسان من عنصرية ونظرة فوقية هي من الكبر، كالحرب هذه بين الهنود الحمر والبيض من الأوربيين والأمريكيين هي بالأساس بنيت على أساس عصبي عنصري، فكان البيض يجدون الهنود بمرتبة أدنى منهم بكثير حتى كانوا يستخسرون بهم تلك الأرض الغناء؛ فقاموا باحتلالها وسلبوا إرث آبائهم وأجدادهم ولم يعطوهم حتى حق العيش على أرضهم بل تفننوا بقتلهم وطردهم وحسر ما تبقى منهم من نفر قليل بولايات محددة وهم السكان الاصليين لأمريكا!

و لكنهم كانوا يبررون أفعالهم الشنيعة على أساس العنصرية فهم المتمدنون والهنود الحمر همج لا يستحقون العيش، وإلى يومنا هذا مستمرة المجازر بسبب العنصرية اللونية و الدينية و المدنية، كمثل التي حدثت في إفريقيا بسبب لونهم والنظرة الدونية لهم، واعتبارهم بمستوى أقل من الحيوانات حيث كانوا يجعلون من أطفالهم طعما للتماسيح؛ لأجل صيدها والإستفادة من جلودها أو كانوا يضعون السود بأقفاص معتبرين إياهم حيوانات يتفرجون عليها متناسين أنهم بشر مثلهم لا فرق في خلقهم سوى اللون الذي

جعلوه سببًا لتكبرهم ونظرتهم الفوقية، ونرى إبادات جرت من أبناء الحمية وإخوان العصبية وفرسان الكبر حينما استحكم على هؤلاء سلطان الشيطان حتى ولجوا الذل وورطهم بالقتل و ساق بهم إلى النار.

فالكبر هو ملاقح الشّنئان و منافخ الشيطان الذي خَدَعَ به الأمم السابقة، فبئسا لأمر تشابهت الأهواء فيه و تتابعت القرون عليه حتى ضاقت الأرض بما وسعت، إبادات حدثت بسبب إختلاف الدين أو الطائفة، كل يعتبر نفسه الأفضل فراح يعطي الحق لنفسه بسلب حياة لم يملكها هو نفسه بحجة التقرب إلى الله، متناسين إن الله خلق البشر سواسية لم يفضل أحدًا على أحد ولكن جاء البشر نفسه ليضع موازين عصبية وينصب الأفضل حسب عقليته القاصرة وهذا كله سببه الكبر، هذا التفكير الفوقي خلف مجازر على مر القرون الحاليّة والخالية.

وأيضا نجد ذلك حتى على مستوى الأفراد حينما يعطي المرء حقا لنفسه بالتعامل بفوقية مع من هم أدنى منه على المستوى المادي أو الفكري أو الثقافي أو حسب أصوله أو جنسه كل هذا يقع ضمن أسوء الخصال وأذمها وهي التكبر، وهو فعلًا ما كانت تحتاجه " جايا "الشريرة"؛ ليحوز شياطين الإنس الفوز بمملكة الضلال دونا عن شياطين الجن.

****

" كذب المنجمون ولو صدقوا "

- أسرعي يا ليلى فلم يتبق الكثير من الوقت

نادت أم سهير على ابنتها بصوت يملأه التوتر والتأنيب؛ كي تسرع بالنزول وأخذ قالب الحلوى وقطع الحلوى المطعمة بالمكسرات بعد أن أوصوا عليها قبل يومين؛ لتكون جاهزة في الوقت المناسب

- امي ولكني لم أنتهي من صنع الفطائر كما طلبت لِما لا تجلب سهير قالب الحلوى وهي راجعة من الحلاقة النسائية

أجابتها ليلى ويبدو على صوتها التعب وقد قاربت على الإنتهاء من ملئ القصعة وإدخالها الفرن

- هل جننت يا ليلى أختك هي العروس.. أ تريدينها تنشغل بهذه التوافه ؟ تحدثت أ سهير بنبرة تبكيت لأبنتها ليلى

- إن كانت توافه لما صرعت رؤوسنا بها ؟

تمتمت ليلى بغضب، وأكملت تحدث نفسها: كيف تكلف الملكة سهير بتفاصيل عرسها وهو واجب الخدم !

كانت سهير الأخت الكبرى لليلى و لم يكن فرق العمر بينهما إلا أشهر حتى أن ولادتهما في نفس السنة.. سهير ببدايتها وليلى بنهايتها لذا تعتبران بنفس العمر ولكنهما لم يكونا على ذات وتيرة التصرف والتفكير والتدبير، فليلى دائمة التذمر و الغيرة من أختها سهير و التي شاء النصيب أن تتزوج قبلها و يكون زوجها يحمل كل ميزة كانت تريدها ليلى بشريكها من ثراء و مركز اجتماعي مرموق وثقافة عالية في شتى العلوم تدعمها شهادته التي حصل

عليها من أعرق الجامعات.

جرت السنين أيامها تباعًا غير أبهة لإنتظار المنتظرين من القانطين و الناقمين على ما هم عليه وما يعتبره غيرهم نعمًا.

- عزيزتي ليلى إلى متى ستظلين ترفضين العرسان الذين يتقدمون لخطبتك؟ وأختك سهير أصبحت حاملا بولدها الثاني يا ابنتي؟

سألت أم سهير ابنتها ليلى وهي تشعر بالقلق على ابنتها متيقنة أن العمر لن ينتظر أحدا ..

-أمي أخبرتك سابقًا أني لن أتزوج رجلًا ينقصه شيء لذا سأظل أنتظر إلى آخر العمر.. فسهيرليست أجمل مني ولا تحمل شهادة أعلى من تلك التي عندي، فلما لا أتزوج رجلًا غنيًا و وسيمًا وذا منصب عال مثل زوج أختي يوسف؟!

أجابتها ليلى بصوت لا يخلو من الغيرة و الحسد

- يا ابنتي لكل أمرئ منا نصيبه،فلا يصح أن ننظر إلى ما عند غيرنا حتى وإن كان ذاك جل أمانينا، فلا بأس بالتمني والسعي لنيل ما نصبو إليه ولكن يظل حكم الله هو الأصوب والأنفع ولا يسعنا سوى الرضا به والتسليم لكل نعمة أو ما نجده نقمة لعلها أضل من ما نعرفه بالنعمة، فأرضي يا ابنتي برجل يصونك ويحبك وأنجبي أطفالا يملأون عليك دنياك.

ردت عليها الأم ناصحة إياها بالرضى والنأي عن الحسد.

-(حسنًا.. حسنًا يا أمي سأفكر بالموضوع أعدك ولكني لن اتراجع عن شروطي.

قامت ليلى مستأذنة من والدتها للدخول إلى غرفتها والخلود إلى النوم، وبينما هي مستلقية وتفكر بالكلام الذي دار خارجًا عن وجوب الزواج وإلا ستصبح عانس ان ظلت ترفض من يتقدم لخطبتها؛ لمعت ببالها فكرة شيطانية و قررت أن تنفذها بدء من الغد، ثم نامت وهي ترسم ابتسامة عريضة على وجهها وهي واثقة من نجاح خطتها، وعند بكرة الصباح خرجت ليلى على غير عادتها؛ لتصل إلى مكان لم تعتبه قبلا، يعلو وجهها بعضًا من الريبة و الشك..

- مرحبًا أيتها الخالة.. لقد أرسلتني إليك أسماء وهي إحدى زبوناتك القديمات وقد خدمتِها أكثر من مرة وأرجو أن تفعلي معي مثلما فعلتي معها وتحققي ما جئت لأجله.

تحدثت ليلى إلى امرأة تلبس ثوبًا أبيض موشحة بحجاب أخضر مزخرف باللون الذهبي والأبيض، تبدو في الخمسين من عمرها تفترش الأرض وأمامها منضدة حجرية بيضاء ناصعة، تتوسطها مبخرة كبيرة تفوح منها رائحة البخور المكثفة في غرفة تبدو كبيرة لأول وهلة، ولكن مع الوقت والتركيز بكل تلك الألوان البراقة التي تغطي الجدران بقماش مخملي سميك تضيق الغرفة بجالسيها، ويبدو كل ما فيها مربكًا وغير مريح، كأن هناك ألف عين تراقب فيه وتطوق حاضريه..

- اذن اسمك هو ليلى بنت سميرة

سألت تلك المرأة ليلى وهي مغمضة العينين ثم أكملت بعد وهلة..

- أنت تريدين الزواج.. ولكن بشروط تكاد تكون مستحيلة

- ولم مستحيل هاا... ؟ واختي سهير تزوجت برجل يحمل اكثر من ما

- ولِما مستحيل هاا... ؟ وأختي سهير تزوجت برجل يحمل أكثر من ما أتمناه.

أجابت ليلى بسرعة بصوت يملؤه الحسد

- ها.. أنت اذن يا حلوة تغارين من أختك وتحسدينها!

أجابتها المرأة وهي مبتسمة بخبث

- أنا لا أغار من أحد.. أنا أفضل من الجميع أسمعتي أيتها العجوز؟ ويبدو إنني قد أخطأت عندما أتيت إلى هنا؛ فانت لا تعلمين شيئًا

تحدثت ليلى بعصبية و هي تلملم نفسها وتتأهب للخروج.

- بل ستعودين.. لأنك تعلمين أني الوحيدة التي تستطيع مساعدتك مع تواصل تأنيب أمك لك، وغضبها عليك بسبب شروطك المبالغ فيها، ستأتين يا عزيزتي و خصوصًا بعدما كثر من يناديك خالة.

أجابتها المرأة وهي ترمي البخور على المبخرة؛ ليتصاعد الدخان إلى أعلى وهي مبتسمة ترتسم الثقة على وجهها يخالطه المكر.

خرجت ليلى وهي متجهمة الوجه تجر أيال الذلة والخيبة ورائها حتى أنها لم تنتبه إلى الرجل الذي كان يقف عند الباب، وهو المسؤول عن إدخال الزبائن إلى الشيخة "رقشاء " وهو يناديها باسمها لأكثر من مرة؛ لأجل دفع المال لقاء مقابلة الشيخة، ولكن ليلى خرجت ولم تجب عليه فنادت عليه "رقشاء" وهي تضحك بصوت عال وتخبره

- لا تقلق يا "نجيم" ستعود.. هذه الفتاة ستعود، والآن أخرج ولا تدخل لي أحد فلدي اجتماع مع الأسياد .

أغلق "نجيم " الباب بإحكام على الشيخة " رقشاء" التي راحت تتلفظ بكلمات مبهمة وتفعل حركات غريبة بيديها ورأسها، ثم أغمضت عينيها بعد أن رسمت طلاسم على كفيها، وبدأت بالتحدث بصوت منخفض إلى أحد الجن والذي يدعى " مازار"، وهو جني يعمل لدى السحرة يرسلونه لمعرفة ما يدور حول زبائنهم بعد التواصل مع قرين كل منهم، وهو مختص للنصيب و جلب الحبيب..

- أخبرني أيها الشيطان الناصح ذو الرأي الراجح والجسد الباطح، تكرم علينا بفعلك المانح واتصل بقرين ليلى بنت سميرة فقد طرقت أبوابنا وسمحت لنا بالإستيلاء على حياتها و استعباد قرينها لصالحنا، فلترجع إلينا متوسلة راكعة؛ لنعمل لها عمل يجعلها عبدة لنا ولكل طلباتنا.

هذا ما طلبته الساحرة "رقشاء " من الجني لإيقاع ليلى في شباك السحر والشعوذة بعد أن لمست الحسد والغيرة بكلامها صارت على يقين من قبول ليلى لأي طلب لتحقق ما تريد.

وصلت ليلى لمنزلها وكانت مثقلة بالهموم مشوشة التفكير تشعر بضيق نفس لم تعرف سببه، فليست هذه شخصية ليلى التي اعتادت الضحك والنكتة طوال الوقت لا تبالي بأي أمر ولا تجعل أي شيء أو كلام ينكد عليها، كانت كالذي أغلق دماغه عن محيطة الخارجي فاتحا عليه باب واحد وهو باب كيفية أخذ السعادة وجعلها أهم أهدافها ولو كان سلبها من أقرب الناس إليها، فكل ما كان يهم ليلى نفسها فقط وليفنى العالم بعدها، كانت لا تتمنى أن يحصل خير لأحد سواها وأن حصل تشعر بالحنق والبغض لذاك الشخص حتى يزول الخير عنه؛ فتشعر بعدها بالرضى، وقليلًا من التأسي لذلك المكلوم.

مرت على زيارتها للشيخة رقشاء ما يقارب الشهر بكل أيامه السوداء التي أحست فيها بالإمتعاض لكل من حولها، والعصبية المفرطة الغير مبررة حتى أنها طردت من العمل بسبب كثرة تغيبها متحججة بالمرض، ولكن هل كانت ليلى تشعر بالمرض حقا ؟

- ليلى يا ابنتي ما بال وجهك شاحب هكذا! وعيناك متعبتان و ذابلتان هل هناك ما يكدرك ؟ ام انك مريضة ؟

سألت أمها وهي قلقة عليها بعدما وجدت ليلى ابنتها الجميلة تضمحل يومًا بعد يوم

- لا أنت تقصدين أنني كبرت وعنست ولا أحد سيتقدم لخطبتي بعد الآن أليس كذلك ؟ ولكن سأثبت لك وللجميع أن ما أريده سأحصل عليه، فأنا لست اقل من أحد في هذا البيت

صرخت ليلى بوجه أمها بكل وقاحة، لم تعتدها الأم هكذا أبدا فلطالما كانت البنت الكيسة المهذبة، صمتت الأم ولم تجب ابنتها ولكن كتمت هذا الأمر على مضض وهي تحس بشعور غير مريح تجاه ابنتها.

غيرت ليلى ملابسها وخرجت من البيت على وجه السرعة متجهة إلى..

- مرحبًا يا شيخة رقشاء أنا فعلًا بحاجتك ساعديني دونأان تكثري من تعليقاتك السمجة

هذا ما قالته ليلى لرقشاء التي بدأت بالضحك والتشمت بداخلها ثم أجابتها بثقة ...

- كنت بانتظار عودتك يا ابنتي

كانت إجابتها تلك تحمل كل معاني الخبث والدهاء، اذ أنها المسبب لما حصل لليلى طول هذه الفترة من عصبية وقلق وتعب و وقاحة، فهذا كله بفعل قرينها و و سوسته بعدما أمره الجني" مازار " بفعل هذا بها للعودة إلى الساحرة.

- إسمعيني جيدًا يا ليلى يا بنت سميرة، خذي بعضًا من حظ أختك سهير وكوني أفضل منها بعد أن أساعدك و ما أشير عليك بفعله.. هل تفهمين ؟

تحدثت الشيخة رقشاء بهذا الكلام الغلول، أنصتت اليها ليلى بتمعن؛ لتنفذ كل ما ستطلبه منها؛ لتكون أفضل من أختها وليست مثلها، فهذا هو الحسد عينه، أن تتمنى حصولك للخير كله من كل الذين حولك حتى لو يعني هذا خسارتهم أو خسارة ما كان عندهم !

مدت رقشاء يدها إلى جيبها الأيمن وأخذت منها كيسًا قماشيًا صغير يحتوي على شيء ما يشبه البذور أو الحبوب الناعمة ثم اعطته لليلى، و قالت لها بصوت غليظ يحوي الأذى في نبرته

- أسقي أختك ببعض من هذا الدواء الذي أعطيتك إياه، واخلطيه ببعض من العصير كي تخفي طعمه، وبعدها بفترة قليلة ستستفرغ إبقي معها حتى ذلك الوقت لتأخذي بعضا مما افرغت من أمعائها والتهميه .

-(ماذا ..؟ التهمه هل جننت أيتها العجوز؟ ما تقولينه في منتهى القرف ؟ كيف تريدين أن أكل مما تستفرغه سهير؟ وهل ستأمرينني لاحقا بأكل برازها أو شرب بولها أيتها العجوز المعتوهة ؟

تحدثت ليلى وهي تشعر بالقرف واضعة يدها على فمها لما شعرت به من الغثيان، لم تجبها الساحرة رقشاء وتركتها لإكمال مسرحيتها لأنها كانت

تعلم أن ليلى مستعدة أن تفعل أي شيء للحصول على ما تملكه أختها، فهي لم تفكر حتى بهذا الدواء إن كان مضر على أختها أو لا؟ وإلا كيف تتقيأه إن لم يكن به شيئا مؤذيا ومضرًا!

جرّت الصرة من يد الساحرة رقشاء و همت بالخروج من هناك وهي تنظر بإنزعاج واشمئزاز إلى الساحرة التي تحدثت معها، بينما هي تهم بالخروج..

- اسمعي يا ابنتي عندما تأتين في المرة القادمة ستجلبين معك ما يعادل نصف أوقية ذهبًا أو ذهبًا عينه وسأعلمك بالخطوة التالية.

وصلت ليلى لبيتها وأغلقت باب غرفتها عليها وراحت تدور بدوامة من الأفكار والحيرة فلم تقرر بعد إن كانت ستفعل هذا الأمر المقرف أم لا، ثم بدأ شيئا يتسلسل إلى تفكيرها ببطء، شيئا ما صار يحثها على فعل هذا الأمر وراح يجمله بعينها، ثم بدأت الأشياء الجميلة برسم نفسها أمام ناظريها من منزل كبير وأثاث فاخر، وسيارات مصفوفة من أغلى الماركات وأحدث الموديلات، ورصيد عال في البنك وخدم يحفونها من كل جانب، وسفر من دولة لأخرى وفي خضم كل هذا لم تنس فارسها الذي سيحقق لها كل ما تصبو إليه ثم يغرقها بسيل من كلمات الحب والغرام، و يزينها بهدايا ثمنية لا تقل عن تلك المجوهرات التي تمتلكها أختها، هامت ليلى بأحلامها و أوهامها حتى بدأ لعابها يسيل من شدة توقها لكل هذا ،وبعد فترة ليست بالقليلة وهي تعيش تلك النشوة اللذيذة من الأوهام عادت ألى وعيها ثم ابتسمت محولة ابتسامتها من تلك التي كانت بلهاء إلى سُمية خبيثة وهي تخطط لغد وكيف ستزور أختها.

حل الصباح وحلت معه شرور ليلى حينما دقت جرس منزل سهير، فتحت

لها أختها الباب وهي فرحة برؤيتها، رحبت بها وأدخلتها الى غرفة الضيوف وهي تسالها عن أحوالها وصحة والدتها، بادلتها ليلى الحديث بكل حب وهي تسالها عن حملها وصحة جنينها الذي بلغ الستة أشهر في بطن والدته، طلبت ليلى العصير من أختها ولكن سهير استغربت لطلبها ..

- ماذا! عصير من الصباح الباكر أنا لم فطر حتى.. دعيني أعد لك الفطور وبعدها نحتسي القهوة المرة ومن ثم يأتي دور العصير الطازج الذي ساعده لك بيدي

أجابتها سهير وهي تستعد لعمل الإفطار لهما، لم تستطع ليلى الرفض؛ كي لا تشعر أختها بشيء؛ فقامت مع سهير كي تساعدها أو كما ادعت .

مرت الساعات طويلة على ليلى وهي تنتظر مفعول السحر بالعمل

- ليلى بما تفكرين أراك مشغولة! هل هناك ما يزعجك يا أختي وهل هناك ما استطيع مساعدتك به ؟

لم تكمل سهير جملتها حتى بدأ لونها يشحب ثم مسكت بطنها وهي تصرخ و تتألم مخاطبة ليلى ..

- أختي أحس أن سكاكيناً تقطع أمعائي، سأموت يا أختي اتصلي بالإسعاف فأنا أتألم بشدة

تحدثت سهير إلى أختها وهي تتوسلها أن تنجدها من هذا الألم المدمر، ولكن ليلى لم تستجب لمطلب أختها ولم تتصل بالإسعاف بل كانت واقفة بقوة ولم تحرك ساكنًا، تنظر إلى أختها نظرة تخلو من الرحمة والرفق؛ لأنها كانت تنتظر سهير أن تتقيأ لتأكل منه كما أمرت الساحرة رقشاء، زاد الألم وازدادت معه صرخات سهير حتى وقعت أرضا وغابت عن الوعي لدقائق

ثم عاودت الصراخ؛ لشدة ما كانت تشعر به من ألم، و ليلى تمثل القلق أمام أختها وتروح وتجيء لتوهمها بخوفها عليها ثم أخرجت جوالها وراحت تتحدث كأنها تخاطب الإسعاف وترجوهم أن يأتوا بسرعة لإنقاذ أختها المسكينة على حد قولها.

لم تمر ساعة حتى بدأت سهير بالتقيؤ كما قالت الساحرة شيء بلون أخضر غامق مع الكثير من المخاط وكتل سوداء تبدو كأنها دماء فاسدة، ورائحة كريهة جدًا ملأت المنزل راحت تفوح من ذلك الشيء الذي خرج من أمعاء سهير !

ركضت ليلى نحو سهير وهي تحاول التخفيف عنها وهي تشعر بغبطة عارمة لأن وصفة الساحرة بدأت بالعمل ...

- سلامتك يا حبيبتي سهير أفرغي كل ما ببطنك كي ترتاحي، لابد أن العصير كان فاسدًا، هيا قومي إلى غرفتك يا عزيزتي كي تستلقي على سريرك، وسأنظف أنا والخادمة المكان فلا تقلقي على شيء.

تحدثت ليلى إلى أختها بصوت يملؤه ظاهرًا الحنان والخوف عليها وهي تمسك يديها لتساعدها على الصعود إلى غرفتها كي ترتاح ،ولكنها كانت تروم أن يفرغ المكان لها ولما تريد فعله، وهي على منتصف الدرج دخلت الخادمة ومعها أدوات التنظيف كي تنظف المكان بعدما استفرغت سيدتها على أرضية غرفة الضيوف، وما أن رأتها ليلى حتى صرخت عليها بقوة وهي تأمرها أن تعود إلى المطبخ، استغربت الخادمة لهذا الكلام كما استغربت سهير أيضا ولكنها لم تكن تقوى على الحديث وحتى السؤال، فقد كانت المسكينة تجر نفسها بصعوبة بعد كل ذلك الألم الذي مرت به قبل أن تستفرغ ذلك الشيء، فوضعت ليلى أختها على السرير ونزلت بسرعة إلى

غرفة الضيوف متحججة برغبتها في مساعدة الخادمة على التنظيف وتهوية المكان، نزلت ليلى وهي تسد أنفها بيديها كي لا تشم كل تلك الرائحة المقيتة ثم دخلت إلى غرفة الضيوف وأغلقت الباب ورائها، وتوجهت إلى تلك القذارة التي لفظتها سهير من أمعائها واقتربت منها رويدًا رويدًا، فوجدت أشياء شفافة تشبه الديدان بالتحرك والدوران ولكنها ليست ديدان، بل هي كتل مخاطية متحركة، نفرت من ذلك المنظر المقرف وأبعدت رأسها عنه ولكن عاود ذلك الشيء التسلسل إلى أفكارها المشوشة مانعا عقلها من الوصول إلى عتبة الصواب؛ بل توجيهه إلى فعل المنكر والخطأ وتزيينه لها، وما ستحصل عليه من مميزات أن فعلت ما أمرت به الساحرة، ولم يكن ذلك الشيء الذي يتسرب إليها في كل لحظة ضعف إلا القرين الذي أوكلت إليه الساحرة مهمة التحكم بها وبعقلها وجعلها دوما تقف عند الخطأ ولا تتجرا على التفكير بمنطقية، فمدت يدها ببطيء إلى ذلك الشيء المقرف وغرفت منه غرفة صغيرة و وضعتها بفمها وابتلعتها بسرعة ولكن الغريب بالموضوع أنها استساغت ذلك الشيء! ثم أخذت غرفة ثانية وثالثة والتهمتها بسرعة ! فيبدو أن الحرام والمنكر يقاوم بالبداية بمنطق الصح والخطأ ولكن عند الخوض فيه يصبح مستساغًا وأمر مقبولا، لا بل يصبح مفضلًا!

وأثناء انشغالها بلهم القرف سمعت صراخًا يأتي من أعلى؛ فرمت ما كانت تحمله بيدها من ذلك التقيؤ وهي غاضبة وتتمتم..

- لن نتخلص اليوم من دلع سهير و صراخها كالأطفال

صعدت ليلى بتثاقل نحو سهير لترى ما سبب صراخها الآن، فتحت الباب على سهير فوجدتها غارقة بدمائها وهي تبكي خائفة لا تعلم ما الذي حدث لها فهي لم ترى غير الدماء تغطي سريرها؛ فركضت اليها ليلى وهي خائفة

ثم اتصلت بالإسعاف ولكن هذه المرة عن جد، وصلت سيارة الإسعاف ونقلت سهيروبجانبها ليلى التي لم تفارقها حتى لحظة إدخالها غرفة العمليات، بعد أن تم فحصها جاء الطبيب كي يتحدث إلى ليلى ...

- يؤسفنا أن نخبركم إن الطفل قد مات اليوم صباحًا في بطن أمه، والآن علينا إجراء جراحة لسهير لأجل إزالة جنينها.

وقع هذا الخبر كالصاعقة على مسامع ليلى التي لم تستطع أن تلملم شتات نفسها، وراحت تضرب على رأسها وهي تلوم نفسها على ما فعلته بأختها، وبعد وقت قليل وصل زوج سهير ووالدتها فلم تتحمل ليلى نظراتهما إليها وهي تتخيل أن يلوماها على ما فعلت، على رغم تأكدها أنهما لا يعلمان شيء ولكن صار تفكير ليلى دومًا مشوشا وغير دقيق، تتخيل أشياء كثيرة وتنسى أخرى، وكل هذا بفعل تأثير تعاملها مع هذا العالم المظلم الرديء عالم السحر والضلالة وكل ما فيه من شياطين من الإنس والجن .

خرجت من المستشفى وهي تسارع خطواتها للوصول إلى الشيخة رقشاء، ففتحت الباب عليها بقوة و"نجيم" مساعدها يحاول إيقافها لكن دون جدوى، فدخلت عنوة إلى رقشاء وبدأت بسبها وقذفها بعبارات لم تنطقها ليلى من قبل.

- اجلسي يا ابنتي فيبدو أنك متعبة ولكن أبشرك إن السحر بدأ بالعمل وسترزقين رزقا مباركًا إن شاء الله.

هكذا تحدث رقشاء إلى ليلى؛ لتهدئتها والكذب عليها كما اعتادت أن تفعل وبالطبع كي تجعل الزبائن قانعين أن هذا الأمر لا يتعلق بالسحر ولا بالجن، ولا بأي شيء محرم، بل، هي بركات من الله ! فحاشى الله ان يستعان بغيره

ممن خلق من الإنس والجن إلا ما شاء)

فطبطبت على كتفها وهي تخبرها أن أختها قد أُخرجت من العملية وهي بأحسن حال فلا داع كي تقلق عليها، بعد أن جاءها خبر من الجني الخادم الذي استعانت به لأجل الإتصال بقرين سهير ومعرفة حالها.

هدأت ليلى قليلًا بعد أن سقتها من كأس الوعود والأكاذيب كما اعتادت أن تفعل مع جميع قاصديها، ثم خرجت و قد اختلط داخلها بمزيج من المشاعر المبهمة بين الحزن والفرح، وبين الخوف والأمان وبين الحسد و التأسف.

عادت ليلى إلى منزلها، وبعد يومين خرجت سهير من المستشفى وتوجهت مع والدتها إلى بيت العائلة بعد أن طلبت أم سهير من صهرها أن يُبقي ابنتها عندها لبضعة أيام؛ كي ترعاها وتعتني بها حتى تستعيد عافيتها فتعود لبيتها وزوجها وابنها، ولم يمر سوى أسبوع حتى دق جرس الباب فصاحت أم سهير على ليلى كي تفتح الباب، هرعت الأخيرة إلى الباب فتفاجأت بوجود رجل يحمل ظرفًا ويطلب رؤية سهير، استغربت ليلى كثيرا لهذا الأمر ودخلت فورًا كي تخبر أختها.

وبعد أن رحل الرجل وأغلقت سهير الباب بدأت بالبكاء فورًا رامية نفسها على الأريكة وهي تمسك ورقة بيدها بقوة طاوية إياها

- ما بالك يا سهير؟ ما الذي جرى؟

سألت الأم وهي تنظر إليها وإلى الورقة بقلق.

- لقد طلقني يا أمي.

أجابت سهير وهي تنوح و الدموع تغرق عينيها.

- كيف يطلقك ولماذا؟! هل لأنك بقيت هنا لأسبوع ؟ أيعقل هذا ألا يعلم أنك مريضة وبحاجة للرعاية ؟

تساءلت ليلى وهي حزينة ومستغربة من تصرف زوج أختها الغير منصف.

اعادت والدتها السؤال على ابنتها سهير وهي مستعجبة جدًا من هذا الأمر،

فجلستا الإثنتان أمام سهير وانهالوا عليها بالأسئلة التي لم تكن سهير تجيب على أي منها، وكل ما كانت تخبره هو كم الدموع المنسابة على وجنتيها إلى إن فاض الصبر بها ونطقت صارخة ...

- لم أكن يومًا سعيدة معه، كان شديد الغضب ومبالغ بعصبيته، لا يسامحني إن أخطأت يومًا، كان يعتبرني إحدى تحفه الموضوعة في البيت لم يحترمني ولم يراني زوجته وشريكة حياته كان متعاليًا مختالًا بنفسه، ولم أشتكي من كل هذا بل كنت أسمع إذلاله لي وأصمت، كان يعيرني دائمًا بكل تلك الأموال وذلك المنزل الكبير والحياة المرفهة التي يوفرها لي، لم أنطق يومًا ولم اشتكي ولو بكلمة، بل أثرت أن أحتفظ بكل هذا المرار في قلبي؛ كي لا أُحزنكم وأن لا أخسر أولادي؛ ليسيروا على خطى أبيهم بالخيلاء والغرور

والآن وبعد أن أسقطت ولدي قرر طلاقي والزواج بامرأة آخرى، وقد أخبرني ليلة البارحة أنه سيرمي علي يمين الطلاق ويتخلص مني كأي غرض تقل قيمته؛ فيستبدله بواحد أفضل منه !

صعقت ليلى بكل تلك الكلمات المؤلمة وهي من كانت تحسد أختها على عيشتها، والتي كانت تعيش بمرارة مع من كانت تحُسد عليه!

وساد عليها بعض من الشعور بالندم والذنب؛ لأن كل ما حصل لسهير كان بسببها وكثرة غيرتها منها، والحسد الذي اعتادت عليه، وبالفعل قد كان

شعورها بالذنب في محله، فلم تجد منفذًا للخلاص والإفلات من رؤية أختها يوميًا لتذكرها بذنبها وما قامت به من سحر إلا باللجوء إلى الساحر ذاته الذي القى اللعنة على البيت كله منذ أول لحظة فكرت فيها ليلى الإستعانة بالسحر والشعوذة.

- والآن قولي لي أيتها الشيخة متى سيتحقق المراد ويتقدم لي عريس بالمواصفات التي أريدها؟ ومثلما قلت لك في المرة السابقة إحذري أن يكون عصبيًا ومتشنجًا طوال الوقت كي لا يصيبني ما أصاب سهير.!

بتلك الكلمات كانت ليلى تسأل الساحرة عن تحقيق ما أرادته منذ البداية مع بعض التعديلات.

- أصبري يا ابنتي فالأوضاع السياسية ليست على ما يرام في هذه الفترة. أجابتها رقشاء وهي تحاول أن تمتص حنقها بعد ما تأخر طلبها وكثر ما دفعته ليلى دون مقابل.

-(هاهاها... وما شأن السياسية بزواجي هل سأتزوج من رئيس الجمهورية؟ لا أنا لست طماعة إلى هذا الحد.

ضحكت ليلى مستهزئة بكلام رقشاء، فشعرت ليلى فجاءة بقشعريرة تسري بأنحاء جسدها لم تعرف سببها ولكنها أحست بوجود شيئا ما يقترب جدا منها وينظر إليها؛ فبدأت ترتعد وهي تتلفت يمينها وشمالها، فانتبهت رقشاء ثم ضحكت بخبث وهي تحادثها وتنظر إلى المبخرة تارة وتغمض عينيها تارة أخرى

- هل شعرت بوجوده؟

- من تقصدين يا رقشاء؟

سألت ليلى والخوف يتملكها.

-(الجني.. أقصد الملاك الحارس خاصتك)

تحدثت رقشاء بصوت متقطع يدل على الكذب بعدما أخبرتها الحقيقة بإستعانتها بالجن، وليس كما تدعي ويدعي الشيوخ والعرافين دومًا بقدرتهم الخارقة على التحدث مع الملائكة، أو إنه متبصر مبارك يستطيع معرفة كل شيء، ولكن الحقيقة غير ذلك تمامًا فكل ما يدعون هؤلاء الدجالين معرفته ما هو إلا استعانة بالشياطين وبالذات قرين ذلك الشخص الذي أعطى فيه اسمه مقرونا باسم والدته؛ فالقرين لا يعرف عن اسم الأب شيئا فقط يعلم اسم الأم، لذا يعطي تفصيلات ومعلومات للساحر كاملة عن ذلك الشخص؛ فتنبهر الناس بالقدرة الخارقة للشيخ ويبدأون بتبجيله والاستعانة به وبقوته المزعومة، ولكن لو طرأ على بال أحد أن يسألهم عن المستقبل أو ما سيحدث سوف ينكسون رؤوسهم هم وأعوانهم من الشياطين والجن، فهم لا يعلمون عن الغيب شيئًا وكل ما يعرفونه هو الماضي والحاضر، والدليل القاطع عليهم حينما توفى الله سيدنا سليمان ظل الجن يعملون تحت أمرته خوفًا منه غير عارفين بموته، وبقوا على هذا الحال لسنوات؛ لتخرج بعدها الدودة الصغيرة فتثبت كذب الجن وضعفهم وعدم قدرتهم بعلم الغيب عندما أكلت عصى النبي سليمان فتهشمت ووقعت هادمة معها ذلك الصرح العظيم من الأكاذيب المبنية على قوة الجن وجبروتهم ومعرفتهم بكل شيء وقدرتهم على كل شيء.

بعدما حضر الجن وأصبح المكان غير مريح بوجودهم، طلبت ليلى الخروج من ذلك المكان وخصوصًا بعدما أحست بإقتراب شيئا نحوها، كمصدر حراري متحرك يتجول في الغرفة ويقف أحيانا مقابلًا لوجه ليلى يكاد أن

يلتصق بها من شدة اقترابه، وبالفعل غادرت ليلى على وجه السرعة خوفًا من ذلك الشيء الغير مرئي لها، ولكنه يراها ويقترب عليها وربما يستطيع فعل أكثر من هذا بها !

- قل لي يا " مازار" ما بال صاحبك " أعازير" قرين ليلى ألا يأتي لها بأي عريس ويخلصنا من كثر سؤالها؟!

تحدثت رقشاء بصوت مبحوح إلى الجن الذي كان يتجول بالمكان منذ أن كانت ليلى جالسة فيه، فبدأ كل شيئ بالإهتزاز الخفيف حينما أجابها الجني " مازار " بصوت غير مسموع للبشر، إلا من فتح بابهم واقتحم عالمهم الأسود الخفي ؛ فيستطيع التواصل معهم يسمعهم ويسمع همسهم ،وصراخهم وعواءهم وهم يتجولون بالمكان المدعوين إليه، فسمعت رقشاء صوت " أعازير " وهو يتذمر من كثر الضغط عليه لجلب عريس حسب ما تود ليلى، فصرخ مستاءً وغير راض عن هذه السخرة المزعجة وكثر الطلبات، فبادلته رقشاء عولة أقوى تهدده بالإستعانة بمن هو أعلى منه وأقوى إن لم ينفذ ما طلبت منه، فصمت "أعازير " ذعرًا وراح يتوسل إلى رقشاء و " مازار " أن لا يعاقبانه، فهو يعلم إن عقاب الأشرار ألم وأذى لا يتخلص منه أبد الدهر، كما أن رقشاء تعلم يقينا إن الإستعانة بجن أعلى يتطلب تضحيات أكبر من تنازلات تفعلها لا تبقي بعد أي كرامة أو انسانية أو شرف لها !

لذا هي لا تستعين بالجن إلا لضرورة أشر؛ فتجعل مكانتها أعلى بين شياطين الجن والإنس.

وفي إحدى الصباحات كانت سهير كما اعتادت بعد طلاقها جالسة تندب حظها ونصيبها المبتور حسدًا، وبينما كانت ليلى تحاول إسكات ابن سهير وهو يصرخ باكيًا ومشتاقًا لوالده رن جوال ليلى؛ فهرعت راكضة إليه للتخلص من كل ذلك الإقلاق الذي عاشته منذ طلاق أختها وبقائها عندهم هي وابنها، فدخلت إلى غرفتها وأغلقت الباب ورائها وردت على المكالمة بصوت خافت ..

- هاا... يا رقشاء ماذا تريدين منذ الصباح الباكر؟ لا تقولي لي إنك تريدين المال مني فقد أخبرتك منذ آخر مرة طلبتس أني أصبحت مفلسة لا أملك شيئا بفضلك، ثم أنت لست محتاجة إلى القليل الذي تسلبيه مني، فكل يوم يأتيك عشرات الزبائن ولا يخرج منك أحد الا وقد ارضيته وبالمقابل قد ارضاك جدا يا رقشاء.

أجابت ليلى بكل تلك الكلمات اللاذعة لأنها كانت تشعر بالحنق والغضب من رقشاء ومن إفلاسها و من كل ما تتعرض له من مضايقات في البيت من وجود أختها وابنها الصغير معهم في نفس الشقة الصغيرة.

- على مهلك يا ليلى.. أولًا: عليك أن تكفي عن الحسد، فقد حسدتِ لتوك شيخة مباركة لا يمسها الحسد بسوء فهي من تطوعه لأجل أعمالها.. وثانيًا: أنا لم أتصل بك لأجل المال هذه المرة فأني متأكدة أنك ستغرقينني به عند سماعك لما سأقوله لك.

أجابتها رقشاء مؤنبة إياها على لسع كلماتها السامة، وأكملت تخبرها..

- لقد جلبت لك رجلًا كما تريدينه بالضبط وسيما وذا منصب رفيع ويمتلك كثيرًا من الأموال.

ثم شرعت بوصف المكان الذي ستلتقي به والذي سيكون بالضبط أمام النافورة الكبيرة التي تتوسط المدينة؛ كي تكون أجواء التعارف رومانسية بوجود المياه المتناثرة والتي تشكل أجمل الرقصات على الإضاءة المتغيرة وكأنها تواكب إيقاع عازف الجيتار الذي يشجي المسامع بأعذب الألحان مقابل بعضًا من الأموال التي يضعونها أمامه، وبائع الزهور المتجول و يحمل باقات فواحة من الأزهار الملونة، وورد حمراء ليلهب أجواء عشق الحبيبين؛ فيستحث الحبيب أن يشتري وردة لحبيبته والتي تكون لها بمثابة عقد ماسي عندما يهديها إياها وعيناه ذابلتان شوقًا وغرامًا يزينها بأرق الكلمات وأعذبها.

- سيمر رجل من أمامك و يتعثر فجاءة فأسرعي لمساعدته وانظري مباشرة إلى عينيه ودعي الحب يتدفق إلى قلبه فهذا هو عريسك ؛ فأحرصي على الإيقاع به جيدًا و لا تدعيه يفلت من يديك.

انهت رقشاء المكالمة بتلك الكلمات تاركة ليلى تهيم برجل أحلامها، ثم بدأت بالإستعداد لمقابلة فارس أحلامها أو الفرس الذي ستمتطيه لتحقيق أحلامها.

حان الموعد وجلست ليلى تنتظر رجلها وبالفعل لم تمر أقل من نصف ساعة حتى مر رجلا فارع الطول عريض المنكبين يرتدي حلة يبدو أنها ثمينة، يمشي وراءه رجل يبدو أنه مساعده لأنه كان يحمل حقيبة جلدية منتفخة لكثر ما تحمله من أوراق و التي تبدو ذات أهمية وتخص الكثير من الأعمال وبالتالي ربح الكثير من الأموال، و مظلة بيده الآخرى، مر الإثنان مسرعين من أمام ليلى، فسُلب عقلها بكل ما رأت ونست ما أوصتها به، وتعثر الرجل وهم مساعده إلى مسكه ومنعه من السقوط وليلى جالسة مكانها لم تتحرك!

حتى أتتها بما يشبه الصفعة التي أيقظتها من أحلامها التي كانت ستتلاشى لولا تدخل قرينها " أعازير ".

وبتدخل منه أيضا تلافت الخطأ الحاصل وراحت تتبعه حتى سبقته بخطوتين ووقعت أمامه تظاهرت أنها قد أغمي عليها كي يهرع إليها فارسها ويحملها بذراعيه القويتين، ولكن آمالها قد بددت بعدما تركها فارسها المزعوم وأكمل مسيره، فيبدو أن ذلك الرجل على رغم كل ما كان يتحلى به لم يكن جنتل مان او رجلا كيسًا! ولكن مساعده توقف لمساعدتها وحمل رأسها عن الأرض ضامًا إياه إلى صدره و هو يحاول إيقاظها، وعندما انتبه رئيسه "وسام" إلى عدم سير مساعده وراءه؛ التفت ليوبخه ولكنه لمح ليلى وهي مغمى عليها على ذراع مساعده، فراح إليهما وخاطبه ...

- قم يا هاني.. فلدينا كثيرًا من العمل

- ولكن هذه المرأة قد أُغمي عليها ولا أستطيع تركها

- حسنًا.. فلنرجعها إلى واعيتها فانا ملم بهذه الأمور

أنزل وسام رأسه نحوها ومد يده إلى وجه ليلى وبدأ بضربها بقوة؛ كي تستعيد وعيها، فلم تحتمل ليلى تلك الضربات الموجعة؛ ففتحت عينيها مباشرة مركزة نظرها إلى رجلها كما أمرتها رقشاء، وراحت تسبل له بعينيها مادة يديها نحوه تستنجده لحملها وإنقاذها، وظلت على هذا الحال حتى انتبه إليها قليلًا وبدأ بمجاراتها ولكن دون وجود العزف والإيقاع والقطرات المتناثرة!

فلم يكن هناك إلا الوقوع ثم الوقوع بشباك.. ليس شباك الحب وإنما الخداع!

وهذه كانت بداية تعارف ليلى ووسام الذي إنتهى لاحقا بالزواج.

مضت الأيام والأشهر ثم سنين قلال كانت تبدو حياة ليلى أكثر من رائعة، فقد امتلكت كل ما تمنت و سعت إليه، كانت كلما واجهتها صعوبة ما أو مشكلة بزواجها تهرع إلى رقشاء وتستعين بها وبسحرها الفعال؛ ليكون كل شيئا سحريا فعلًا!، فتغدق ليلى بكرمها الغير منتهي على رقشاء.

كان وسام زوج ليلى كما الماشة المعلقة بشعرها، ملتصق بها ولا يفارقها وتحركه كيفما تشاء وتزين وجودها ببهاء منظره وبرقته الكاذبة، كان كالعبد لسحرها بالمعنى الحرفي!

كانت تحوم حوله طوال الوقت لم تدع له متسع يأخذ نفسه دونها أو بعيدًا عنها حتى في مجال عمله كانت هي شريكته وتجلس على مكتب يقابل مكتبه؛ كي تشعر بكل تلك الإثارة التي تعتريها حينما تكون هي الأمر الناهي في الشركة والكل يعمل تحت إمرتها، حتى صارت تتدخل بكل مفاصل العمل وهي لا علم لها ولا خبرة في ذلك المجال، ولكن ليلى لم تكن ترضى أن يكون أحد أفضل أو أذكى أو أعلم منها، كانت تفرض أراءها بكل مفاصل الحياة الزوجية وحتى العمل، ووسام يوافقها حتى لو علم بمدى الضرر التي ستلحقه بشركته والتي أمضى فيها عمره وتوارثها من أبيه وقبله جده، تلك الشركة إرث عملاق حرصت العائلة على بقائه وازدهاره، فلم يكن يدر الأموال الطائلة عليهم فحسب بل كان رمز لعراقة عائلتهم.

ولكن كل ذلك الصرح العظيم بدأ بالتصدع تدريجيًا عندما تولت ليلى زمام الأمور مع وسام الذي كان منقاد تماما لها، فلم تكن لها دراية بالإدارة ولكنها كانت تشعر بالحسد لكل موظف مجتهد ويسدي الرأي السديد والنصح فيما يخص العمل حتى أنها كانت تحارب من كان يبدو عليه أنه عالم بالشغل والقرارات الصائبة حتى تطرده بصورة نهائية من الشركة حسدا منها و

رفضها بوجود من هو أجدر منها، كل هذا أدى بالتراجع للأرباح وحتى العملاء الذين بدأوا يسأمون كثر الوعود الكاذبة والديون المتراكمة، حتى آل الأمر بهم يومًا إلى إعلان الإفلاس.

مرت الأيام عصيبة على ليلى و وسام الذي حبس نفسه بالبيت لأيام تهربًا من الدائنين، أغلق جميع حساباته وأرقامه وكل طريقة للتواصل معه، حتى أنه أوصى رجال الأمن الذي يقفون على باب الفيلا أن يمنعوا أي أحد بالدخول مدعين أن السيد والسيدة خارج البلاد لسفرة عمل.

كان الملتجأ الوحيد الذي ستستعين به ليلى هي رقشاء و سحرها، فحملت كل ما تبقى عندها من مجوهرات وهرعت إليها تتوسلها أن تعود الشركة لمجدها السابق وترجع معها الأموال والرفاهية التي اعتادتها ليلى، فلمعت عينا رقشاء عند رؤيتها لكل ذلك الذهب والماس؛ فأمرت نجيم مساعدها أن يخرج جميع زبائنها من مكان الشعوذة؛ للتفرغ لقضية ليلى.

- اخل المكان يا نجيم ومن ضمنهم أنت ولا تعود إلا بعد غد؛ لأني سأكون متعبة من عمل اليوم.

ثم نظرت إلى ليلى نظرة لا تخلو من الشر و الضلال..

- اسمعيني جيدًا يا ليلى.. الآن بقينا أنا وأنت في هذا المكان ولكننا لسنا بمفردنا، أنهم هنا يسمعوننا ويروننا و يستطيعون فعل الكثير لنا حتى أننا نستطيع الحصول على كل ما نتمنى إن أرضيناهم وأصبحنا إلى جانبهم، وأنتِ يا ليلى حينما وطأت قدمك هذا المكان دخلتي عالمهم الخفي دون أن تعلمي، وأصبحتِ تحت نظرهم وسيطرتهم، وقد أعطوكِ كل ما طلبت من مال وجاه وكل ما حلمتِ به، والآن عدت بعدما تلاشى كل شيء من بين

يديك تطلبين العون منا، وهم مستعدين دومًا ... لكن بشروط قد تكون صعبة في البدء ولكنك ستعتادينها لاحقًا، الآن ان أردتي أن يعود كل مالكم لابدأان تقبلي بأول شرط.

- ما هو الشرط ؟

صرخت ليلى وجلة

- أن نقيم حفلًا صغيرًا هنا يتخلله الرقص والزمامير و ينتهي بالجماع.

خزرت ليلى عيناها وكلمت رقشاء بصوت مرتعش غاضب

- ماذا تقولين؟ أجننتِ!

- اهدئي يا ليلى فلا يصح أن تنفعلي هنا، فالتلبس يكون سهلًا جدا في مكان يعج بالجن، و ليكن بمعلومك إن هذا أول شروطهم وأهمها

أجابتها رقشاء وهي ترمي البخور على النار كي تزيد المكان دخانا ورائحة قوية

- حسنا.. ولكن تقصدين جماع من بمن؟

سالت ليلى بتردد

- انا مع الخادم الأكبر الذي يستطيع الوصول إلى من هم أعلى منه؛ كي نضمن الحصول على كل شيء وأكثر، صدقيني سيرضونك وانت بدورك سترضينني.

أجابتها رقشاء بدناءة وعيناها تلمعان بالنظر الى كل تلك المجوهرات التي جلبتها لها ليلى، ثم أكملت بصوت حاد..

- ولكن عليكِ أن تشاهدي هذا كله، وأن لا تغمضي عينيك أبدا وتركزي بكل حواسك معنا كأنك بيننا وسنقوم بهذا الحفل كل اسبوع، في كل أسبوع سأجامع جني أعلى مرتبة من الذي قبله إلى أن نصل إلى كل أموالك التي رحلت لتصبح أضعاف وأكثر، والآن عليكِ أن تأتي إلى هذا المكان.

أكملت رقشاء وهي تشير إلى السجادة التي كانت تضع فوقها المنضدة الصغيرة تلك التي تحمل المبخرة، فرفعتها بتأن وأزاحت السجادة؛ لتظهر رسمة تشبه المثلثان المقلوبان ومتداخلان مع بعضهما يشكلان دائرة سداسية الأضلاع مرسوم داخلها كلمات وطلاسم غير مفهومة لليلى، ثم أمرت رقشاء ليلى بالمجيء والوقوف على هذا المكان و التبول فيه.

صعقت ليلى لما سمعت ولم تصدق كل ما ترى، ولكن رقشاء كان يبدو عليها الإستعجال؛ فجرت ليلى من يدها ورمتها داخل تلك الدائرة ثم أمرتها بالتبول فورًا كي تبدأ مراسم الجماع بين رقشاء والجني .

وبعد أن تبولت ليلى بذلك المكان المخيف تمددت الساحرة فوق البول وأغمضت عيناها وهي تنتظر الجني كي يجامعها، ولم تمر ثوان حتى بدأت رقشاء بالقيام بحركات غريبة بوجهها وجسدها تتمتم ببعض الكلمات تارة وتصرخ موجوعة تارة أخرى الى أن تم الأمر الذي لم يستغرق سوى دقائق، وليلى كانت مركزة نظرها معهم كما أمرتها رقشاء كي يسري مفعول السحر، وبعد أن تم كل شيء كما قالت رقشاء الساحرة خرجت ليلى من عندها وهي مذعورة و مصدومة، كأن كل ما مر بها كابوس أو أسوأ.

فتحت باب منزلها ودخلت لتجد زوجها جالسًا على الأريكة وهو منعزل عن العالم بأكمله، وعند سماعه لدخولها التفت نحوها ملهوفا لرؤيتها كالطفل الذي غابت أمه عنه ثم عادت؛ ليركض إلى أحضانها مشتاقا..

- حبيبتي ليلى أين كنتِ لقد قلقت عليك وتعلمين أني لا أملك هاتفًا كي أتصل بك واطمئن عليك، لذا أرجوكِ لا تتأخري مرة أخرى.

تحدث وسام إلى ليلى بصوت حنون دافئ

- لا تقلق يا حبيبي سيكون كل شيء بخير ويعود مجدنا وأموالنا وأكثر.
أجابته ليلى بثقة و لكن بصوت مهموم

- ما الذي تقصدينه يا ليلى، وكيف هذا ؟ أجيبي ماذا فعلت ؟

صرخ وسام على ليلى مؤنبًا إياها ومستغربا من حديثها

- لا تخف حبيبي .. فقط رهنت مجوهراتي كلها وستحل مشاكلنا ابتداء من الأسبوع القادم، اقصد عندما يعطوننا الدفعة الأولى للرهن والذي سيكون كبيرًا وبهذا نستطيع أن نسترد أموالنا تدريجيًا.

اجابته ليلى وهي تختلق الكذبة بعد الآخرى

- ما هذا الهراء الذي تتحدثين عنه يا ليلى أي رهن وأموال ستسد مئات الآلاف من الدولارات من الديون؟!

أجابها بصوت يائس حزين

- لا تقلق يا وسام سيكون كل شيء على ما يرام

أجابته ليلى وهي تصعد الدرج للذهاب إلى غرفة نومها؛ لتستريح بعد كل ما مرت به، وأول ما وضعت رأسها على وسادتها سرحت بكل ما شاهدت وراحت تتذكر كل تفصيله شاهدتها أو سمعتها ثم انتابها شعورًا غريبًا بالحسد ! نعم فقد وصل بنفسها المريضة بالحسد أن تحسد الساحرة على أنكر فعل ممكن أن يكون وهو جماع جني!

كانت ترى بممارساتها تلك تكون فوق الجميع وتستطيع الحصول على أي شيء تريد كما أنها تحصل على متعة لا تشبه تلك التي عند البشر، فظل هاجس الحسد يتخللها حتى تمنت أن تكون مكانها كي تصل إلى ما وصلت إليه من مال وشهرة و شعبية أينما حلت وخصوصية لا يتميز بها الا أولئك الشيوخ المباركين كما يروهم الناس أو كما يدعون هم، ثم زجرت نفسها بغضب وهي تقول:

- اللعنة عليك يا ليلى.. أتحسدين ساحرة على أفعالها المنكرة ؟ أم أني اعتدت الحسد فحسب حتى صرت أتمنى آخذ كل شيء من أي شيء! حتى وصل بي الحد إلى حسد نفسي بنفسي فطار كل شيء، كما أن تلك الساحرة ليست أفضل مني بشيء؛ فهي لديها خادمها الذي يحقق لها كل ما تريد وأنا أيضا لدي خادمي الذي أوجهه كيفما أريد هاهاها ..

ضحكت بصوت عالي مستهزئة بزوجها وسام الذي جعلته عبدًا لها ولطلباتها بفعل أسحارها؛ فباتت تختال بفخر لكل ما عملت وما ستعمل كي تصل لمكانة افضل من الكل بنظرها.

وفي منتصف الليل صرخت ليلى بصوت عال وهي نائمة؛ فأستيقظ وسام على صراخها، وراح يهزها كي تفيق من غيبتها التي مرت بها والتي جعلتها مغمضة العينين ومشدودة اليدين والرجلين كأن شيئًا ما كان يمسكها بقوة شديدة ويغلق فمها ليمنعها من الصراخ، وجل وسام وبدأ بضربها بكف يديه على وجهها ولكنها لم تفق بل كانت ترتعش أكثر وأكثر وتطبق على أسنانها بقوة وكل شيء بجسدها كأنه تجمد فلم يجد حلًا سوى رشقها بقوة بالماء، فأخذ كوب الماء الذي كان بجانبه وأفرغه على وجهها وبعد هنيهة أفاقت من

كابوسها جارة نفسها الذي خطف لثوان وفتحت عينيها بشدة وهي تتلفت حولها.

- ماذا بكِ يا حبيبتي هل أنت بخير يبدو أنه كابوس مفزع ما الذي رأيته ؟ سألها وسام وهو يمسد على رأسها كي تشعر بالأمان

- إنه هو.. هو أنا متأكدة و قد اغتصبني !

تحدثت ليلى بصوت متقطع جازع

- ماذا من الذي اغتصبك ؟

سألها وسام مندهشًا

- ها.. لا.. لا أحد أنا لا أعرفه ولم أقل اغتصبني بل غصبني

أجابت ليلى بكذبة واضحة كي لا تضطر للشرح أكثر

وضعت رأسها على وسادتها وهي لا تزال ترتعش، واضعة وجهها على الجهة الثانية بعيدة عن وسام ؛كي لا يرى دموعها وشدة جزعها، ولم تستطع أن تغمض عينيها في تلك الليلة التي رأت فيها أسوأ كابوسًا، فقد رأت نفسها وهي مربطة اليدين والرجلين وفوقها جني قبيح الشكل ضخم الجسد كأنه غول من الغيلان وهو يغتصبها رغما عنها.

مر يوم بعد يوم وقد بدأت الشركة بالعمل مرة آخرى وصارت الأرباح تأتي بسهولة ويسر أكثر من ذي قبل، وبدأت الأموال تسري بيد وسام وليلى تدريجيًا، وليلى مستمرة بالذهاب أسبوعيًا إلى رقشاء؛ لإكمال ما بدأتا به وظلت تلك الكوابيس تراود ليلى يوميًا في نفس الوقت وكل مرة مع جني بشكل آخر وهيئة اخرى، كأن من كانت تعاشرهم رقشاء يعودون لمعاشرة

ليلى التي بدأت بمرور الوقت تعتاد الأمر فلم تعد تصرخ ليلًا كي لا تثير تساؤلات وسام بل تكتم انفاسها حتى ينتهي الجني من مضاجعتها وهي في المنام ثم تستيقظ وهي ترتعش،أحيانا كانت تجلس وحيدة تبكي حزينة على نفسها، وأحيانا اخرى تلوم نفسها و تردد هذا ما حسدت رقشاء عليه يومًا فالأخذ نصيبي من حسدي للأخرين، ولكن هناك أمرًا كان يقلق ليلى أكثر من أمر الكوابيس!

وسام، ذلك الخادم المطيع بدأ بفك قيوده منها بطريقة لم تستطع تفسيرها حتى وصل به الحد إلى النفور منها ومن رائحتها تلك التي كان يتغزل بشذاها؛ حتى أوصت بزجاجة عطر خصيصًا لها بمبلغ ضخم من أرقى محال العطور في باريس لتواري صنّتها، ولكن وسام أيضا كان ينفر منها ويعيرها دوما بهذا الامر بل و يقول لها باشمئزاز..

- إذهبي واستحمي فلم أعد احتمل الجلوس معك على نفس الطاولة.

حتى وصل به الأمر إلى عزل فراشه عنها والنوم بغرفة أخرى للهروب من رائحتها الكريهة !

و ذات ليلة ارتدت طقم نوم مغر ودخلت إلى غرفة زوجها وأفرغت على نفسها قنينة العطر كلها ؛كي لا ينفر منها، ثم فتحت الباب ترسم ابتسامة على وجهها فز وسام من كرسيه الذي كان يجلس عليه أمام مكتبه مكتفيًا بضوء المنضدة للقراءة، فنظر إلى ليلى وتعوذ من الشيطان فورًا، فغضبت ليلى وأنبته لما قال..

- ماذا بك لِما تتعوذ من الشيطان، أنا ليلى حبيبتك .

- لا أعلم يا ليلى، فللوهلة الأولى رأيت وجهك كأنه وجه قرد قبيح الشكل جدًا ففزعت منك ، أنا آسف

اجابها وسام وهو لا زال ينظر إلى كتابه ولم ينظر إليها إلا تلك النظرة الأولى، فتحدثت معه بصوت ناعم كي ترده إليها وهي تتدلع عليه

- حسنًا يا حبيبي أنا قبلت اعتذارك فأنت لم ترني جيدًا لأن الضوء هنا خافت. فمدت يدها إلى مفتاح النور لإضاءة المكان، وما أن أُنير المكان حتى أبعد وجهه عنها أكثر من ذي قبل و هو يقول لها:

- أخرجي من هنا لم أعد أطيق أن أراكِ.

خرجت ليلى وهي تبكي من شدة خجلها ووجدت أن الأمر قد زاد عن حده؛ فقررت الذهاب إلى اخيه "فراس" لتشتكيه وترجوه لأن يتقصى عن سبب نفوره منها! خصوصا أنه قد عاد كل شيء لمكانته وأكثر، فالشركة سددت كل ديونها وأصبحت أقوى وأفضل من ذي قبل، وجد فراس كلام ليلى غريبًا جدا فهو يعلم مدى طاعة وسام العمياء لزوجته ليلى ولكنه رغم هذا قرر النقاش مع وسام؛ لفهم ما يجري و بالأخص عندما رجحت ليلى وجود امرأة أخرى، وبالفعل تحدث فراس إلى وسام مطالبًا إياه أن يكلمه بصراحة على المشكلة الحاصلة بينه وبين ليلى.

- أقسم لك يا أخي لا أعلم كيف قد تزوجت هذه الخنزيرة منذ البداية وكيف عاشرتها كل تلك السنين! لا اعلم كأني كنت أعمى العينين والان قد أبصرت النور و وجدت قبحًا منها لا أعلم سببه، ولكن هناك شيئا يجعلني متأكدًا أنها تستحق هذه المعاملة مني!

وما زاد الطين بلة أنها كانت المسبب الأول لإفلاس الشركة؛ فقد كانت تبخس الناس حقهم وتأبى أن تنصفهم حسدًا منها، حتى رحل افضل الموظفين وأنزههم وأنا كنت ساكت وأسامحها، حتى أنها قد رفضت الإنجاب كي لا تتعب بتربية طفلها أو يخرب شكل جسدها! ولو لم تضع مبلغًا ضخمًا لمؤخرها؛ لطلقتها وتخلصت منها .

هذا ما حكاه وسام لأخيه فراس وهو يشكو مرارة عيشته مع من كان يراها ملاكًا، والآن بات يراها بوضوح على حقيقتها التي لم تكن تخفيها بل أخفت عقل وسام لرؤيتها وكشفها.

وبعد إن آيست ليلى من كل المحاولات لإسترجاع زوجها قررت الذهاب والإستعانة برقشاء كما اعتادت أن تفعل، وبالطبع كان هذا الأمر هو أكثر ما تجيده و ما اعتادت فعله ؛ لأنه أكثر أمر يطلبنه النساء للقبض على رقاب أزواجهن، او ما اعتقدت به معظم النساء وهو ما يسمونه حرز المحبة بين الزوجة وزوجها، و هذا بالضبط ما فعلته رقشاء طوال هذه السنين مع ليلى وزوجها ولكن يبدو إن السحر قد انتهى مفعوله والان لابد ان يتجدد.

و بعد أخذ مبلغ طائل من ليلى حضرت رقشاء سحرًا لا يرجع وسام مثل قبل بل سيكون عبدًا مغمض العينين ومغلول اليدين، هذا ما أقسمت

ووعدت رقشاء به ليلى بعد أن تنفذ كل ما ستقوله لها حرفيًا .

عادت ليلى إلى بيتها وقبل وصول زوجها إلى المنزل فعلت بالضبط ما قالته لها الساحرة وبضمير مرتاح جدًا بحجة أنها لا تريد سوى إرجاع زوجها إلى حضنها، تقنع نفسها بجواز فعل أمر شنيع كهذا لأن غايته صالحة و لا تهم الوسيلة مادامت الغاية نبيلة .

جلس وسام على المائدة لتناول عشائه فبدأت ليلى بجلب الأطباق ووضعها أمامه مركزة على ذلك الطبق الذي تبولت ليلى فيه، ووضعته أمامه، فهذا ما أشارت رقشاء على ليلى فعله بالضبط ؛ ليكون السحر ذا تأثير ثابت ناصحة إياها أن تجعل الطبق الذي ستعده أن يكون حامضًا بعض الشيء كي تضيع حموضة بولها فيه!

شعر وسام بشيء غريب بخصوص ليلى فلم تكن ضمن عاداتها أن تقدم الأطباق بنفسها، بل اعتاد الخدم على فعل هذا، ثم انتبه على إصرارها لتذوق ذلك الطبق الذي اعدته بنفسها خصيصًا لزوجها حبيبها كما ادعت.

فنظر إليها مشمئزًا ولكنه مضطر أن يركز نظره عليها؛ كي يكتشف كذبها، وسألها بصوت هادئ جدا كأنه الهدوء قبل العاصفة

- ماذا وضعتِ بهذا الطبق يا ليلى ؟

لم تجب ليلى بل بدأت بالإرتعاش فيبدو انه قد اكتشفها، فمد يده على شعرها وجره بقوة نحوه ثم أعاد السؤال عليها صارخًا بوجهها

- ماذا وضعتي أيتها اللعينة في طبقي ؟

مركزًا عينيه الزرقاوين كأنها عينا نمر سيبيري وهو يتهيأ للإنقضاض على فريسته، لم تجبه ليلى خوفًا منه و من فظاعة فعلها،فبدأ بضرب رأسها بالطاولة وهو يصرخ عليها مستشيطً غضبًا

- أوضعتي السم أيتها البائسة؟ أتريدين أن تقتليني أيتها الخنزيرة القبيحة ؟

حاولت ليلى أن تجيبه وتقسم له أنها لم تضع السم ولا أي شيء و تتوسله أن يتركها ولكنه كان غاضب جدًا، ثم قال لها ..

- إذن افتحي فمك سأفرغ الصحن كله فيه

فرفضت ليلى وهي تشعر بالقرف من ذلك الطبق وحاولت أن تهرب من بين يدي وسام الذي ثارت ثورته بعد رفض ليلى الأكل من الطبق ذاته، فتأكد بوجود السم في طبقه ونيتها الدنيئة في قتله، فغضب وركض ورائها و هو يضربها بقوة، فتوجهت إلى غرفة نومها لتقفل الباب عليها؛ لتتخلص من زوجها المجنون، ولكن وسام لم يترك لها مجال للهروب من قبضته فظل يصارعها وهي تحاول الصعود إلى الأعلى، حتى استطاعت بصعوبة بلوغ الممر الذي يتوسط الدرج وغرفة النوم والتي صارت على بعد متر واحد منها، فاستجمعت شتات قواها لبلوغ الملاذ الوحيد للنجاة حتى تعثرت بالزهرية الكبيرة الموضوعة عند حافة الدرج العلوية وكأن شيئا ما دفعها نحوها؛ ففقدت توازنها بالكامل وأخذت تترنح بشدة حتى إنقلبت من فوق السور الخشبي الذي يحيط الدرج؛ لتقع من الطابق الثاني و يُضرب دماغها المليء بالشر أرضًا فتطايرت الدماء بكل مكان.

- وهكذا يا "شرذم "ماتت ليلى وهي غارقة بدمائها مثلما عاشت وهي غارقة بالحسد لكل من حولها، لم ينجو منها أحد إلا وتمنت زوال نعمته عنه و جرها إليها، يولد الحسود ويموت وهو غير مرتاح يظل يركض مثل الكلب وراء أي شيء مبهرج لاهثًا لجمع كل شيء ولا يجد الراحة بأي شيء.

تكلمت " جايا" مع "شرذم " عن ليلى وأمثالها الكثر؛ لتعطيه درسًا مهما عن الحسد وأهميته بالشر بل اعتباره الأساس له، بينما كانت تهيء نفسها للولوج إلى عالم البرزخ حيث آلت ليلى ودفنت تحت التراب.

فتسللت "جايا" في أحد الليالي المدلهمة بالسحب السوداء الكبيرة وقد اشتد المطر فيها، كان غيومها العبوسة قد صبت جام غضبها على سكان الأرض

كغيلان تطير في السماء؛ لترعب كل من تحتها وترمي بصواعقها كل ما يعترض طريقها فتمطر غضبًا وشرًا؛ لتغرق المحاصيل الزراعية وتفيض الأنهر وجداولها؛ فتطفو الجثث التي تلفظها الأرض لنجاستهم وضلالتهم.

وكان قبر ليلى أحدها وقفت " جايا " أمام القبر الذي هشم نصفه بعد تلك الأمطار الساخطة، وأطاحت برجلها شاهده ثم مدت يدها لتجر بقايا جسدها المتحلل المتعفن وهي تضحك سعيدة بما تفعل، فأخرجت الجثة التي بدت وكأن لها سنون طوال لدفنها وهي بالحقيقة لم يمض إلا أسبوع على قبرها!

ولكن شر أعمالها قد أهلكها حتى بعد موتها فلم تكد تتخلص من انتقام البشر حتى نزلت للعالم الثاني؛ لتجد بشاعة ما كان ينتظرها من جن وشياطين دأبوا على العمل عندها تسخرهم كيفما تشاء بعضهم بالسحر والبعض الأخر بالحسد الذي كان وليمة دسمة للشياطين، فرفعت "جايا " بإحدى يديها جثة ليلى وهي تتأملها مبتسمة بخبث وتحدثها بصوتها الناشز..

-أظن أنك قد رأيتِ شتى الأشكال من الشياطين، لذا لن يخفيك منظري هذا فأنا أهون الشر وأقله بشاعة

-لا بل أنت أبشعهم وما فعلت لا يضاهيه فعل ! فأتركيني يا ذات الذراع القوية.

أجابتها ليلى بصوت مبحوح متقطع تفوح منها رائحة نتنة أوقعت حتى غصون الاشجار الباسقات حول المقبرة.

- أيتها اللعينة.. أتريدين أن تحسدي ذراعي ؟ أولا تعلمين أنني " جايا" ملكة الشر وكل ذراع قد حملت من الشر ما لم تستطع الأرض حمله.

أجابتها " جايا " وهي تقبض بشدة عليها، ثم مدت يدها الثانية وجرت

خصلة كبيرة من شعرها الطويل الذي اشتعل شيبًا وهي لا تزال في الثلاثين؛ لبشاعة ما رأت في قبرها، رمت " جايا" جثة ليلى في الهواء فتناثرت أجزائها كل جزء أختبأ بجهة هربًا وخوفًا من شر " جايا" التي طارت وهي حاملة إخر الخصال و أبشعها؛ لتزرعها براس "شرذم"، ليكون بلا شك ملك الشر.

****

صراع الأنداد بين شياطين الجن وشياطين الإنس

لم يمض عقد من الزمن حتى عقدت الجولة الأخيرة والحاسمة لصراع شياطين الإنس ضد شياطين الجن، وإثبات أي منهما الأقدر والأشر؛ كي يتوج بتاج الذل والمعصية إلى نهاية الزمان، و بهذا يكون استيلاء جهنم للغالبية الفائزة بالجحيم، فبدأت التحضيرات للقاء ملوك الشر من الجن والإنس بحضور ممثلي الضلال ومرسخيه في العقول بوسوسة أو فعل، فامتلأ ذلك المكان البعيد الذي يقع عند مغيب الشمس ومشرقها، في أسفل الأرضين ذلك المكان اللامحدود بحد و اللاموجود بحدق، على جانبي الردم العظيم غالق فوهة الشر من خلق حجبوا عن الخلق آجمعين، عند سد يأجوج ومأجوج الذي لا يراه الرائي و لا يفطن لوجوده باحث، كالذين التفوا حوله من شياطين الجن الإنس لا يراهم الرائي ولا يلقطهم الباحث عنهم، لا نجد منهم سوى أثرهم من الوسوسة والخبث وسوء العمل، فلا يصح تجمعهم إلا بمكان يشبههم بالشر والغموض وما جدر من ردم يأجوج و مأجوج !.

احتل الجن الجهة الغربية منه، فمنهم من يطير ويعلو كالغربان السوداء أو على شكل موجات حرارية غير مرئية ولا يلقف من أثرها شيئا سوى خبثها و سوء أفعالها، والأخر واقف كالصنم وبعضا يزحف كالأفاعي الملساء السامة أو من إتخذ هيئتها، أو هيئة الخنازير والقردة والفيلة وقطط سوداء فحمة.

أما الغيلان الضخام فهم محيطون الرقعة الضالة متوزعون كالبقع الداكنة الموسومة على أجسادهم الزرقاء المائلة إلى السواد بلون معاصيهم، لا يتسع لهم مكان واحد؛ لشدة وحشيتهم وشراستهم، والجن الحارس من المردة يستولون على أعلى السد؛ لخدمة أسيادهم من أولاد إبليس الملعون .

أما على الجهة الشرقية للردم كان يقبع شياطين الإنس الذين كانوا على هيئة أغرب من تلك التي عليها شياطين الجن !

فبعضهم كان يضع على كتفه عباءة سوداء ثقيلة ويحمل بين يديه كتاب رسم عليه ميزان، والأخر كان يرتدي بزة رسمية فخمة أزرارها من ذهب وفضة، وهناك من تزين وجهه بلحية بيضاء ووجه سموح بشوش، و نساء يرتدي بعضهن فساتين أعراس وأخريات لا يضعن على أجسادهن شيئا.

ولا يخلو الصراع من الرجال الذين يشكلون شكل السلسلة يجر بعضهم بعضًا والقسم الآخر من يظهر كأنهم عرسان في ليلة زفافهم، والأعجب كان رجال يقفون صفًا كل واحد منهم يرتدي زيًا يدل على ديانة معينة، وكل واحدًا منهم يحمل رمزًا دينيًا، فمنهم من يحمل الصليب المقدس والأخر يحمل القران الكريم، وجمعا يعتمرون القلنسوة على رؤوسهم و آخرين حليقي الرأس يضعون عليهم ما يشبه الإحرام بلون اصفر أو برتقالي !

فلا غرابة أن كان كل هؤلاء يحملون مقدسات معهم ولم تحميهم من دخول عالم الشيطنة ، والسبب بسيط فإن لم نحمي نحن ديننا لا يحمينا، ومن تخلى عن الله قيض له شيطانا قرينا، ولا يقُرن المقرون إلا بقرين مثله .

فالدين الحق ليس انتماء وشعائر فحسب بل هو تطويع جوارح وزهد عن الدنيا بكل زبارجها وتحري الحق إلى الطريق الحق.

اجهمت السماء بياض وجهها، وتعكر صفوها، و هاجت ريح صرصر عاتية تحمل الشؤم والهم، فظهرت " جايا " بوجهها المنكر وبشاعة هيئتها تجر ورائها أيقونة الشر " شرذم " جمع المعاصي، وبغتة ظهرت غيمة سوداء عفنة كبيرة تجر ورائها ذيلًا طويلًا لا يكاد أن يرى نهايته.

فنزل عنها " بافومت " أكبر أبناء الشيطان اللعين إبليس وخاطب " جايا " بدونية مستفزة بصوته الجهوري الصّام للآذان

- الم يكفيكم خسارات حصدتموها قبلا، ام تريدون الموت على ايدينا ؟

- لا تستطيعون اماتتنا؛ فأنتم لستم خالقينا، ولن تموت المعاصي وخصال الشر مادام الحساب لم يحل علينا وعليكم، فلا تهددونا كما دأبتم فعله بتلفيق أشهر كذبكم في قدرتكم علينا دون إرادتنا.

واليوم جئنا بعد مئات السنين من التهيؤ والتحضير ونيل آلاف الميداليات الذهبية على مر العصور في الشر والقتل والتشويه والإبادة، أن نقف أمام شياطينكم من الجن؛ لنثبت إن شياطين الإنس هم الاقوى والأقدر والأجدر بلقب رعاة الشر المطلق ولنسحب البساط من تحت أرجلكم، ونستولي على حكم الشر في هذه الأرض وفي الجحيم السفلي ويكون منتهى الشرور والضلالة لقبنا ولتكونوا أنتم جنود لنا نطوعكم كيفما نشاء وليس العكس وكما يُعتقد في معاشر الجن والانس.

أجابت "جايا" بقوة وتحكم وهي واثقة هذه المرة من اعتلاء عرش الشر.

فبرز صوت لم يكن واضح تماما بل كأنه مجموعة أصوات بين نقنقة ضفادع و مواء قطط وصوت رخيم مريح للسماع، فظهر جسدا بثلاثة رؤوس أحدها رأس قطة مدغمة بعينين تشع نارًا، والأخر رأس ضفدع كريه ببثور ودمامل تقزز الناظر إليها يتوسطهما رأس رجل كبير بالسن يلبس تاجا على رأسه المستدق وبأذنين مدببة الأطراف، له نظرة تطفئ وهج النور والغضب والإدراك فلا يبقى إلا سيطرة للعقول وسجنا للعيون، كل ذلك يعلو جسدا أقرب ما يكون للعنكبوت، ولكن بأرجل مشوكة كبيرة وكثيرة، فتحدث قائلًا:

- أنا "بعل " ملك الشرق من مملكة الجحيم، أملك اصول الحكمة والكلام، وأمنح السائل ما يريد، لي القول المأثور والفعل المبتور، فمن أنتم يا من تدعون الوصول إلى قوتنا ومقدرتنا ؟

فرد عليه رجل كبيرًا بالسن يحمل الميزان في كفه وأجابه قائلًا

- أنا القاضي.. أملك من أصول الكلام وأحكمه أكثر ما لك، لي القول المأثور والفعل المفعول، أحكم بسلطتي المشروعة على أحدهم بالبراءة وانا على يقين بجرمه، وآخر أودعه حبل المشنقة وأنا عالم ببراءته، كل ما احكم به إرضاء لأهوائي و تقديرا لكدسٍ من مالٍ، فأن نادوك ظهرت وإن انكروك أفلت، أما انا يأتونني ويتوسلون بي للقضاء والحكم بينهم، ولا يخلو بشر من قضية وحكم في زواجه وطلاقه وحياته و مماته.

فهزت الأركان ضحكة عالية من " جايا " وهي تشعر بنشوة النصر لدى أول مبارزة، فقد تفوق القاضي الفاسد على حكم شياطين الجن.

ثارت ثورة الغضب لدى " بافومت " وأخوته فصرخ يستنجد، فظهرت فتاة بشعر طويل منسدل يتموج ورائها بجسد عارٍ، ممشوقة الطول ومكتنزة الأوصال بوجه أجمل من الوصف تسحر الناظر إليها، تكلمت بصوت كأنه صوت قيثارة تعزف وقت الغروب ..

- انا "أعاور" ملكة الجمال والإغراء أثير شهوة الرجال والنساء، أداعب المشاعر والأهواء وأمكر أصحاب الرس بالبقاء، فمن منكم يفعل فعلي ويقول قولي ؟

فبرزت مجموعة من النساء العاريات وهن يفتخرن بما وصلن إليه، مواصل أعلى من شياطين الجن وملكتهم "أعاور" التي نسبت الشهوة والإغراء

لنفسها دونا عن البشر وشرور أفعالهم من الزنا والفجور وهن يقهقهن ويقلن..

- نحن المغريات من النساء العاريات الكاشفات، لا يخالف أمرنا حاكم أو قائد أو وزير أو قاضي، نملك زمام الأمور بأيدينا إن قلنا قالوا وإن رفضنا رفضوا، نلاعب الرجال على الحبال بجمالنا وفتنتنا، فأجسادنا وجمال معاشرتنا أغنت الرجال عن وسوسة شياطين الجن واغواءهم؛ فلم يعودوا بحاجة إليكم نحن قد تكفلنا بالأمر وأجدنا.

بدأت " جايا " بعد هذه المناظرة المخزية بالعلو والإرتفاع حتى كادت تصل إلى اعلى السد فقالت بصوت يملأه الزهو ..

- على ما يبدو يا شياطين الجن لن نحقق النصر عليكم و حسب بل يمكن أن لا تعود لكم أي حاجة فنحن قد كفينا مكانكم.

فهز المكان صوت مهيب مرعب يشبه زئير الأسد ولكنه بغلاظة أكثر وأصداء عديدة لم يعرف أولها من آخرها، فوثب كائن ضخم يشبه الأسد من حيث الهيئة ولكنه يمتلك مخالب وأنياب طويلة وحادة بلون أسود داكن تدل على الشر والأذى، له قرنان مذهبان يعلوان رأسه الغزير بالشعر أو ما يشبهه، فقال بصوت يصعق الآذان..

- انا "بارباس " ملك الجهة الوسطى لمملكة الجحيم كما اعتاد البشر رؤيتي ملكا، لي جيوش من الجن ما ترى بدايته ولا تلمح نهايته، جندي العلماء الذين علمتهم أقوى وأعصى علوم الكيمياء و طرق الإخفاء ومعرفة أسرار العلوم، فمن منكم يستطيع ان يصل لعلمي وذكائي ؟

فتقدم رجالًا يرتدي بعضهم لباسًا فخما والآخر لم يهمه إن كان قد مشط شعره قبل خروجه أو شذب لحيته الطويلة التي كان يبدو عليها أن صاحبها لم ير نفسه في المرآة منذ اشهر؛ لانشغاله بتجاربه وعلومه، فتقدم أكبرهم سنًا وكان يبدو عليه أكثرهم علما وتحدث بصوت أجش رجيح..

- نحن من اكتشف نواة الذرة و الإلكترونات الدائرة حولها بدقة متناهية وبنظام محسوب يتوافق مع حركة الكواكب والنجوم حول الشمس، حين اكتشفنا الجاذبية وكل ما يدور حولها من علوم و وجدنا كل يسير بنظام دقيق جدا وفق قوانين محددة! حتى بتنا نستطيع معرفة حركة الكواكب والنجوم بعد آلاف السنين، ونستطيع تحديدها بأجزاء الثانية ورغم هذا أنكرنا وجود من يدير كل هذا النظام وبتلك الدقة، ثم جحدنا فضل من أوجد كل هذا النظام الدقيق مرة آخرى حين أنكرنا وجود الروح ذلك الشيء اللامادي، ولو وضعنا أحدث الأجهزة مكان أعضائه لن نجعله يعمل ويؤدي وظيفته دون الروح، ولن نجعل القلب يدق دون أي توصيلات كهربائية أو الكترونية

مهما وصلت و ازدهرت علومنا و التكنولوجيا، لذا لم نستطيع نكران الروح تلك المادة اللامادية التي تجعل البشر يعيشون، ولكننا أنكرنا وبصلافة خالقها، عرفنا كل هذا و أجحفناه، وعلّمنا من بعدنا أن يكتموا وجود الله أو وجود خالق أو مانح للروح، كبرًا منا وجحود على مِن مَنْ علينا بجسد وروح ووضع فينا عقول عبقرية أبت أن تعترف أن أحد حتى لو كان صانعها أذكى واعلم منها.

لم يستطع احد من معاشر الجن وقبائلهم و جيوشهم الرد على هذا الكلام الذي يثبت حرفيا أن شياطين الإنس أدهى من شياطين الجن، فإن كان أبا الشياطين إبليس قد رفض أمر الله عليه بالسجود لأدم؛ تكبرًا وغرورًا

وانتقاصا للبشر وليس نكران لوجود الله، وأعترف بذلك حينما حاجج الله تعالى بالأفضلية لخلقه من النار وخلق البشر من طين، فكيف يأتي البشر وينكروا وجود خالق للكون والوجود؟!

فقد فاقوا بهذا حتى ابليس بالجحود!

انتفض أحد ملوك الجن بعد هذا الدلالة العظيمة التي أودت بالجن وأفعالهم إلى دنو فقدانهم لمرتبة الأشر، ولكنه كان يتكلم بصوتين أحدهما صوت رجل والآخر صوت امرأة كأن الصوتان يخرجان من جسد واحد، فالتفت الحاضرين إلى ذلك الكائن الغريب الذي كان يركب على عربة متهالكة بأربعة عجلات، له جسدان ملتصقان نصفه رجل والنصف الآخر امرأة..

- أنا اللئيم الخبيث أقدم الشياطين، أنا من عاصرت إبليس وكنت شاهدًا على معاصيه التي حرفت العالم وما فيه، أنا الملك " بلبياعل " العظيم حاكم على ملايين العفاريت والجن والأرواح، لا يفترض بنا معاشر الشياطين من الإنس والجن التنازع على الملك، فنحن ملوك المعاصي والشرو، بل تكاتفوا وليساند بعضكم بعضًا وكونوا صفًا واحد فلا يستطيع أحد من الصالحين اختراق جدار الضلالة لديكم، ولن يمحو فعلكم أو وسوستكم أنتم أبشع مخلوقات الأرض، أنتم يا شياطين الإنس ظهير لنا فدونكم لا تكون لوسوستنا و خبثنا أي لازم أو وجود، ولا تنسونا من الفضل عليكم حين يستعصي أمر أحدكم و تلجأون الينا، فنكون خدم لتسخيرنا بفعل الأسحار والشعوذة، كما لا تنسوا فضلنا في بقاء بعضكم في منصبه، وفي وفرة ماله وشهرته، ومحبة الناس له وتصديقه رغم أشنع افعاله، لذا أردت تذكيركم بأفضال بعضنا على بعض، فلا تعاونوا على البر والتقوى ولكن تعاضدوا على الاثم والعدوان.

باتت تلك الكلمات الرنانة لها وقع عميق في نفوس الحاضرين من شياطين الجن والإنس، وكيف لا؟! وهو " بلبياعل " ذو المنطق الراقي والجذاب حنكته ودرايته في مصالحة الأعداء أبرز سماته لذا كان دوما من القادة الرئيسين، ولكن هذا الامر لم يخفى على " جايا " الداهية الخبثة تلك التي كانت من أقدم ملوك الشر و أكثرهم مكرًا، فردت بصوت لا يخلو من الغلول ؛ لتوجسها لبادرة المصالحة بعد الرضا الذي لمسته في عيون الحاضرين..

- إسمعوني يا شياطين الإنس هذا الشيطان الملكي كاذب حد النخاع، ومتلون ولا يقول قولًا إلا كان له به مصلحة وراءه، فلا تأمنوه أبدًا، ثم استدارت الى " بلبياعل" وهي تكمل حديثها وتشير بيدها إلى ثلة واقفة بكل ثقة وحزم من شياطين الإنس يرتدون بدل فخمة ويلبسون أغلى الماركات متزينين بالجواهر النادرة فقالت:

- لا تضرب على أوتار المحبة يا " بلبياعل " فقد ضربها هؤلاء قبلك وقتلوا شعوبًا ودمروا بلدانا، ولا تراهن على الوفاء لبعض فقد نقض العهد هؤلاء قبلك، ولا تتفاخر بملايين الجند من الجن الذين تحكمهم فهؤلاء يحكمون سبعة مليارات من البشر من الشياطين والصالحين، ولا تقول انهم قلة قليلة يحكمون كل بلد، بل أقول لك هناك من يشبههم بحلاوة لسانهم و لطافة منطقهم وغلو حرصهم في كثير من البيوت، فهو الزوج حينما يجر زوجته إلى المعاصي حينما يغض الطرف عنها و يجاري غرورها و حسدها ومكرها بالمقربين، أو الزوجة التي تصفق لزوجها حين علمها برشوة أخذها من أحدهم فغل لسانها بالنصح عندما مد يده نحوها ليسلمها هذا الكدس من الأموال ،أوعندما علمت بظلم ارتكبه زوجها وساندته وحرفت الحق لصالحه ولصالحها.

ولا يسعني أن اظلم رفقاء السوء من الرجال والنساء حينما أذكر حلاوة اللسان والأخذ باليد إلى المعاصي بل حتى وتهيئتها لهم على أرض الواقع، أما أنتم فجل ما تستطيعون هو الوسوسة، بينما هؤلاء يجروك من يدك إلى فعل الفواحش والمعاصي وقولبة الظروف المناسبة لكل هذا؛ حتى لا يبقى مجال للتراجع ويكون طريق المعاصي مفتوحًا أمام صديق السوء وصاحبه

فالفعل ليس كالقول والهمس بالآذان، فلكم وسوسة ولنا فعل.

هل عرفت الآن يا" بليباعل" ما أكثر عددهم وتنوع عدتهم وأعداد ضحاياهم التي لا تعد ولا تحصى على طول الأزمان وفي كل الأماكن والبلدان !

بعد هذا الجدال لم تبقِ " جايا " حجة على ملوك الجن وشياطينهم، فلم يسع الجن إلا استحضار الملك " فالاك " فما لا يؤخذ بالقوة يؤخذ بالحيلة.

و" فالاك " ملك الحيلة والجمال، فنزل من السماء بنور ساطع على هيئة طفل بملامح بريئة جميلة، له جناحان أبيضان يمتطي تنين برأسين ويحمل بيده بوقا على شكل قرن كبيرًا ملتويًا، فتحدث بصوت رخيم مريح للسمع

ـ انا الملك " فالاك" لدي القدرة على الإجابة الحقيقية والدقيقة لكل سؤال يطرح عليّ وأن كنت شيطان ولكني لم أقتل أحد يومًا بخلاف البقية من الجن لذا أسموني بالسيد الأعظم للجحيم، وأيضا بخلاف بقية الشياطين أنا الوحيد القادر على اقتحام الأماكن المقدسة، وكيف لا وأنا أحمل تلك الملامح البريئة!

لم تستطع " جايا " السكوت بعد كل ما سمعت فقاطعت الشيطان " فالاك " ووقفت وسط جموع الإنس والجن من الشياطين وعاطت بصوت عال ناشز وهي تحاول جعل كفة الشر لدى شياطين الإنس هي الراجحة..

- لا تكثر من كلامك هذا فكله دون فائدة، فعندنا ما يفوقك بمئات المرات، أنظر إلى هؤلاء الذين يرتدون زيًا دينيًا كل واحدا منهم له وجه بريء وسمحًا وعند سؤاله على أي شيء يجيبك بالتفصيل ودون كلل أوملل وبدقة متناهية وكيف لا؟ فهم الأعلم بأمور الدين والدنيا كما يدعون،

وإن قلت متفاخرًا أنك لم تقتل أحد بيدك ولكنك لم تكمل يا " فالاك "، فأنت من يقودهم إلى الجنون؛ ليقتلوا أكبر عدد ممكن، فهؤلاء أيضا يفعلون ما تفعل وأكثر، فلكل واحدا منهم ملايين العابدين والمقدسين له، بفتوة أو كلمة واحدة منهم تتحول الدماء إلى أنهار، وتدق الأباء أعناق، ويذبح الولد والدته وهو مرتاح الضمير فهو بهذا يتقرب إلى خالقه، ويكون القتل وهو الأبغض لله حجتهم عليه لدخول جنته كما أفتى لهم هؤلاء، كل واحد منهم يفصل فتواه على مقاسه وأهواءه بما يخدم مصلحته الدنيوية من الأموال و حب تجميعها، أو المعنوية وهي العلو في المناصب والرفعة بين القوم وكلاهما بعيدان عما يدعون من زهد و تدين.

فمن الآن أدهى وأكثر إيذاء أنت يا من حيكت عنك الأساطير المريعة طوال قرون والتي لم يتعدى ضحاياها إلا المئات؟! أم هؤلاء الذين أجرموا بحق كل تابع وغير تابع لهم ؟

كما لدينا نوع أخر منهم فهم كثيرون وبأوجه مختلفة فكم نرى من رجل كبير بالسن وحكيم وعذب الكلام وداخله شيطان إنسي، فالمظاهر هي من تتحدث عند البشر وليست الدواخل وما يضمرون، فكفانا الإستعانة بملوككم من الشياطين فقد أبطلت كل حججكم فهاتوا ابن إبليس الأكبر؛ لمواجهة "شرذم".

فنزل "بافومت " إلى أرض السافلين بشكله الأصلي الذي لم يظهر به منذ قرون، لأنه أكثر الأشكال المعروفة للشيطان و رمزيته، متصوراً بجسد امرأة تبرز عظامها من جلدها، برأس عنزة يعلوه قرنيين طويلين تتوسطهما شمعة محفور بأعلى جبهته نجمة خماسية، ورجلاه على هيئة ستة أفاع ضخمة وقرون وانياب تشق أفواهها لضخامتها وبشاعتها، فنادى بصوته الجهوري البشع الذي يمزق الآذان ..

- "ديابولس " تعال إلى هنا حالًا وانهي على تلك المدعوة " جايا " التي أصخبت الجحيم بعوائها ومطالبتها بامتلاك عرش الشر.

وقبل أن يأتي "ديابولس " أصغر أولاد إبليس الملعون وقفت " جايا" متقدمة على "شرذم" وهي تحدث "بافومت "

- إسمع يا ملك الشياطين، لم نأتي للقضاء على "ديابولس" ولكن لتكن أنت ضحيتنا وليس بالقتل بل تولي حكم الشر في جميع الممالك السفلية والعلوية للجن والإنس في الفضاء وباطن الأرض، ولتكون جهنم لنا وحدنا دون إشراككم معنا فنحن من نستحقها بعد كل معاصينا وخصال الشر لدينا والتي فاقت تلك التي تملكونها ولاتستطيعون العمل بها إن أبى أحد الإنس الرضوخ إليكم، فأنتم الحلقة الأضعف ولكم ذاع صيت الشهرة بالأشر والأقوى، وبات الأنسيون يخافونكم لكثر تهويلكم وكذبكم و دهاءكم فيما لا تملكون من قوة وقدرة لستم حاصلين عليها إلابموافقتنا نحن شياطين الإنس أولًا.

وهنا وقف " بافومت " مواجهاً ل " جايا" وقال بصوت خفيض ليس على عادته: - قل يا " شرذم" ما الخصلة التي زرعتها أمك في رأسك هذه المرة كي تغلب شرنا ؟

- فأجاب " شرذم " بصوت عال إنه التكبر الذي تزوق بهذا الزمان بلقب العنصرية، تلك الكلمة التي قتلت الملايين من بني البشر وشردت مثلها أضعافًا، فكل حرب قامت على أساس طائفي أو ديني هي عنصرية، و كل استيلاء واحتلال لأراضي بين جهتين كل جهة تصف نفسها بالأحق هي عنصرية، وكل نظرة دونية أدت إلى طرد وفصل هي عنصرية، وكل تمييز بألوان الجلود هي عنصرية، و كل صعاب يعاني منها غريب يرطن بلسان لا يفهمه سكان ذلك البلد والذي يسمى غربة هي عنصرية، وكل حق سلب من الفقير لأنه فقير وأعطي لغني لأنه غني فهي عنصرية، كل هذا وأكثر في كلمة واحدة وهي التكبر.

فماذا جنت عليكم تلك الموبقة وجعلتكم أشرارًا مثلنا؟

فأجابه" بافومت" وهو مشتت لا يستطيع رد الحجة على "شرذم " الذي ألجم لسان الشيطان بعد أن فصل له مدى سوء شياطين الإنس بخصلة واحدة، فبان الغضب الشديد عليه حتى احمرت عيناه وصارت النجمة تضيء بقوة أعمت الأبصار وبرزت أنياب حادة من فم الماعز كأنها أنياب تنين ، ثم استدار على "شرذم" ورفع إصبعين من يده اليسرى وهو يقول:

- لقد اخطأتم التقدير هذه المرة أيضًا فحاججتماني بأول معصية أرتكبها جدنا إبليس إنها معصية الكبر، فنحن من كان الأولى بالتفاخر بتلك الضلالة الكبيرة وليس أنتم!

تلك التي طرد الخالق أبانا إبليس من الجنة بسببها حين اعترضته الحمية وفخر على أصلكم واستكبر أن يسجد لأباكم آدم ، إبليس الذي وضع أساس العصبية وأدرع لباس التعزز وخلع قناع التذلل، فالكبر هي اول معصية صارت في الأرض والسماء وأول خلق عصى بها ربه هو " ابليس ".

فحرك إصبعيه الإثنين ورمى "شرذم" و " جايا " بعيدًا جدًا خارج أرض السافلين وهو يتوعدهما إن عادا مرة أخرى سيكون القتل من نصيبهما حتى وإن كان لهما عروق من الزومبي الذين لا يموتون أو ستكون عقوبتهما النفي خارج هذا الكون.

وأثناء هذا السجال بين " جايا " و" بافومت " ظهر "ديابولس" على هيئة لم يظهر بها قبلًا، كان ضئيل الجسد محني الظهر بطول مديد تكاد العظام تمزق جلده وتبرز عبره، وبرأس متضخم جدًا يضاعف حجم جسده لمرات فظهر بوجه فبان لشدة كبره قربه للناظر وإن كان قاصياً، لتكون ملامح العبوس والبؤس التي يتوسمها وجهه واضحة للعيان، بل كأن أحدهم بات ينظر إلى وجهه بعينيه الجاحظتين وجفونه الذابلة كمدا، وعظم حاجب متدلي فوق عينيه؛ لشدة ثقل رفعهما، و نفس متثاقل يزفر متشائمًا يتأوه بيأس، يبعث ريحًا كريهة تفوح من فمه تحمل القنوط والبؤس، يجعل كل من ينظر إليه يود لو يضع خنجرًا في قلبه من شدة عبوسه والطاقة السلبية التي غطت المكان، فيدب اليأس والخمول والكسل في ذرات جسمه المنحل ويتثاقل النفس حتى يكاد يكون معدومًا.

فبدى على الجميع من شياطين الإنس الضعف والتشتت حتى وقع بعضهم أرضا لا يقوون على الوقوف، وهنا تحدث "بافومت "إلى "جايا" وهو يهمس بأذنيها على رغم بعدها عن مكانه..

- أنظري إلى جندك من الإنس يا "جايا" لقد غلب البؤس محياهم ولم تعد لديهم رغبة حتى في فعل الشر، بل سيظلون صامتين وساكنين والأهم منعزلين عن العالم والأقربين إلينا، وهنا يتسنى لنا الدخول بأدمغتهم واللعب بها لجعلهم عبيدًا لنا دون الله حتى يأتمرون بأمرنا، وكل واحد منهم سينهي

حياته بالشكل الذي نراه مناسبًا؛ لجعل الأمر يبدو أكثر بشاعة مما هو عليه أصلًا.

في تلك اللحظة فطنت "جايا" لما يحاول "بافومت" فعله ببني البشر، وهو أمر يبدو أنه اعتاد فعله دومًا؛ للتغلب عليهم و ما ذلك الأمر إلا اليأس والقنوط من رحمة الخالق، فاليأس هو درب الشيطان إلى البشر .

فهرعت "جايا " نحو جندها من شياطين الإنس وصرخت صرخة مدوية في الأرجاء تصدع الجبال منها في تلك الناحية، وهاجت البحار بأمواجها العاتية، وضربت الصواعق الجدران والبيبان كأنها تطرق الأبواب مستنفرة كل البشر من الصالحين والطالحين للتنبه والاستيقاظ من الهفوة؛ لسد الفجوة التي يستطيع بها شياطين الجان الدخول من خلالها لبني البشر؛ كي لا تُبقي "جايا "أي سيطرة للجن على الإنس بل يظل الشيطان الإنسي هو المتنفذ والمتمكن للشر دون أي تدخل من شياطين الجن !

ثم استدارت على" شرذم "وهي تسحبه بقوتها الخارقة؛ ليقف بوجه "بافومت" ويصارعه الصراع الأخير ويصرعه.

فتكلم "شرذم " بصوته المخنوق لكثر معاصيه وفسوقه ..

- إن تفاخرت يا بافومت بجدك إبليس إنه أول خلق عصى خالقه بأول معصية وجدت في الكون، سأجيبك إننا لسنا أقل منكم بشيء، فقد ارتكب جدنا قابيل أول جرم على وجه الأرض و قتل أخاه هابيل حسدًا منه، فالحسد خلق معه،أول سفك للدماء على البطحاء قتل الأخ أخاه حسداً، ونفيت هاجر إلى الصحراء حسدًا من ضرتها سارة لها، و دفع أولاد يعقوب أخيهم يوسف إلى البئر حسدًا

وبالحسد تفرق المسلمون في أوج عظمة الإسلام وأول ظهوره، فإن كان الحسد خصلة لا يخلو منها حتى الصالحين فأذن سيكون هو الأمر الحاسم بيننا يا بافومت، ولنا الغلبة في أمر الشر، وسيتوجون شياطين الإنس بملوك الشر المطلق مادام الصالحين غافلين أو متغافلين عنهم وعن قبح أفعالهم،

فصاح شياطين الإنس صيحة واحدة لمُلمت من جميع مغارب الأرض ومشارقها ...

لقد فزنا بالجحيم .